أنطولوجيا

محمود أبو بكر

مرايا الصوت

مختارات من الأدب الأرتيري



وزارة الثقافة
Ministère de la Culture
Algérie الجزائر

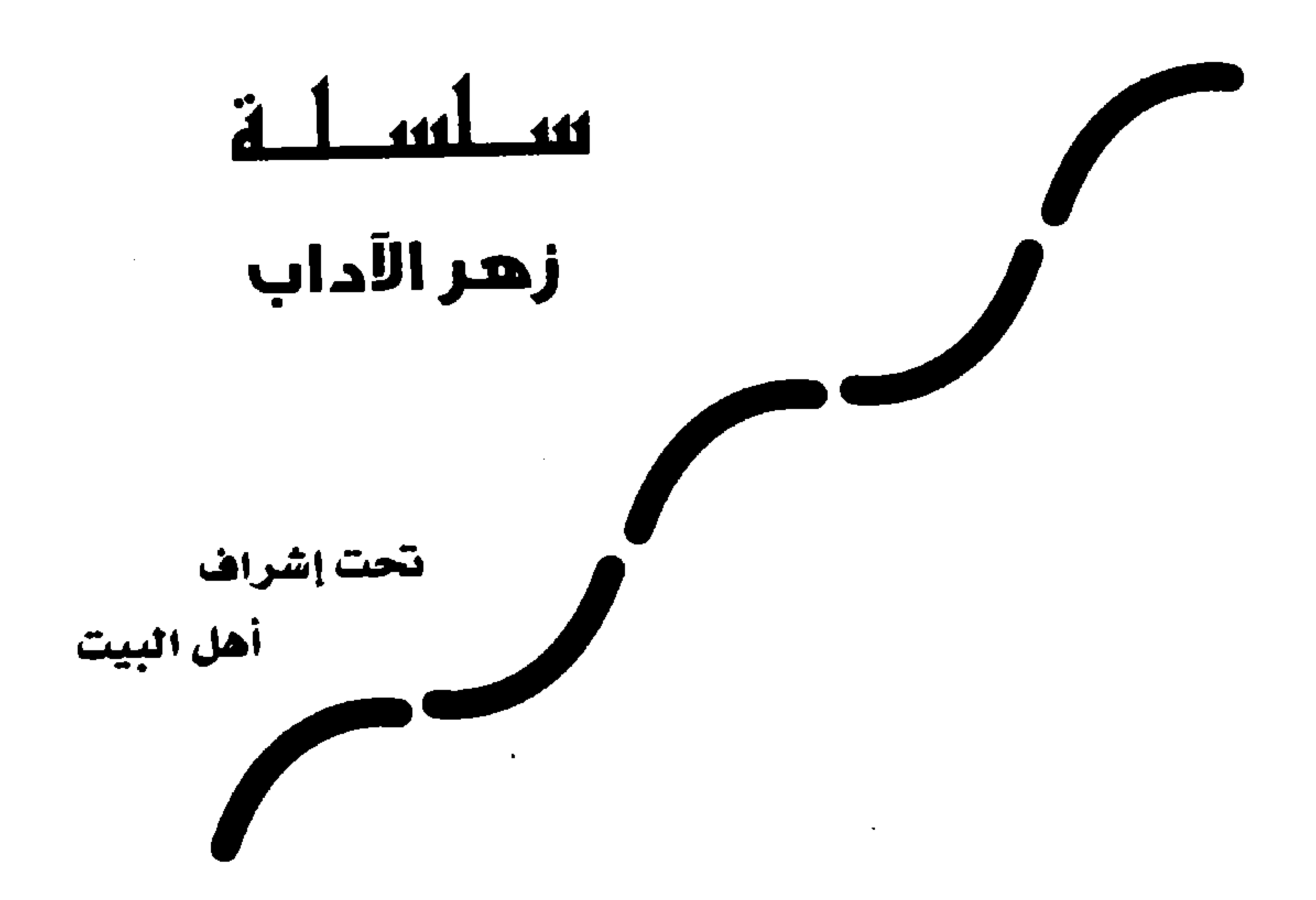
الناشر
جمعية البيت للثقافة والفنون
(منشورات البيت)

تصميم الكتاب
أبو بكر زمال

الإخراج الفني
خالد بوزنون

الإيـداع القانوني
1862 - 2008
ردمـــك
978 - 9947 - 859 - 29 - 2

طبع هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة،
في إطار المهرجان الثقافي الإفريقي الثاني بالجزائر- 2009



مرايا الصوت

مختارات من الأدب الأرتيري

إنجاز
محمود أبو بكر آدم

الإهداء

إلى من تمنيت أن أذرف في حضرته الدمعة الأخيرة..
إلى روحه وهي ترفرف في عليائها
إلى أبي حياً في الذاكرة.
إلى كل الأدباء الارتريين الذين لم يشملهم هذا الإصدار..
عسى أن يجدوا لنا الأعذار المناسبة.

محمود أبو بكر آدم

إضاءة أولى

منذ البدء لم أكن أملك إجابة محددة لكيفية ضم هذه الأسماء والنصوص المتشعبة والمتفرقة في أنماطها ومدارسها وأعمارها الإبداعية، وأتركها تستريح على مساحة واحدة حتى تتوسد ضفتي كتاب.. سيما وأن متوسط العمر بين بعضها البعض يتجاوز ـ أحيانا ـ الخمسة عقود، وما يفترضه ذلك من مسافات بدت لي شاسعة وعصية التطويع في إصدار واحد .
لذلك بقي الحاجز قائما في الاختيار، عطفا على تلك العوائق المتعلقة بطريقة الوصول للنصوص باعتبار أن مبدعيها لا تجمعهم سوى مفردة «الوطن» ويفترقون بعد ذلك في كل ما دونها.. جغرافية وفكرا ومدارسا أدبية، وأنماطا إبداعية.
لذلك ولأسباب أخرى كثيرة ومتشعبة أتى الإهداء معبرا عن «الشعور بالتقصير»، تجاه أولئك المبدعين المتفردين الذين لم يشملهم هذا الإصدار، والذي لا مفر من الاعتراف بعدم شموليته كانطولوجيا تؤرخ «للأدب الاريتري المكتوب باللغة العربية»، بقدر ما هو محاولة لتقديم بعضا من تلك النماذج التي قد يجهلها القارئ العربي لعوامل مختلفة .
والواقع أن الأدب الإريتري في الأساس يتعدد في لغات كتابته بداء باللغات واللهجات المحلية (التجرنية / التجري / البلين / الساهو / العفر..) وهي التي تكتب بالحرفيين «الجعئزي* واللاتيني، بالإضافة إلى اللغة العربية التي تعد إحدى اللغات الرسمية والوطنية باريتريا.. فضلا عن بعض الإصدارات المكتوبة باللغات الأجنبية كالانجليزية والايطالية.

لذلـك مـن الـضروري التأكيد عـلى أن هذا الإصـدار الأول لا يتعلـق سـوى بالنصـوص المكتوبـة باللغـة العربيـة دون سـواها، وهـو الأمـر الـذي يعيـد طـرح الفرضيـة المتعلقة، بـ «الخصوصية»، التي يمكن أن تشـكلها هذه النصوص في المشـهد الأدبي العربي، في ظل سـيطرة «المركز» على الهوامش في الثقافـة العربيـة المعـاصرة، ـ إن صـح التوصيـف ـ، وفق الرؤيـة التي يطرحها الدكتـور «كزافيا لوفان» الباحث المهتم بالحضور العربي والإسلامي في شرق ووسط إفريقيا وتحديدا عـلى الصعيد اللغوي (وهو أحد أهـم مترجمي الأدب العربي للغات الأجنبية، وبوجه خاص الأدب السوداني).

حيـث يـرى أن هنـاك «في هامش الثقافـة العربيـة ثمة أدب، وكتـاب جيـدون يكتبون باللغـة العربيـة، ويتجـلى ذلك في الصومال وإريتريا مثالا... وأنـوه بنموذج الكاتب الإريتري أحمد عمر الشـيخ الـذي أصدر مؤخرا روايـة عنوانها (الريح الحمراء) تتحدث عن المناخ الثقافي واللغوي في إريتريا».

وإذا ما سـلمنا بصحة نظريـة «المركز والهامش» بكل ما تحمله مـن تجليـات عملية فـإن الأمـر برمتـه لا يعدو كونه سـطوة «بـروز وانتشـار» في مقابـل واقـع «العزلة» المفترضـة، والتي يمكـن تجاوزها ـ في اعتقـادي ـ، بإتباع وسـائل نشر وترويج ناجعـة سيما في ظل «الثـورة المعلوماتية» الهائلة التي يعيشـها عالمنـا المعاصر، حيث لم تعد وسـائل الإنتـاج المعرفي والثقافي والفكـري قاصرة على طرف بعينه.. وهـذا ربما ما بدأ يتجلى، حتى على مسـتوى الترويج لأنماط إبداعية معينة ظلت محاربة من قبل بعض المدارس الكلاسـيكية.. حيث ساهمت وسائط الاتصـال الحديثـة في ضـمان الفـرص المتكافئة لـكل الأنماط الإبداعيـة.. وبالتـالي فـإن تجـاوز الفرضيـة السـابقة أضحى

أمرا ممكنا، ليبقى الفيصل دوماً للإبداع بصرف النظر عن كل الإشكاليات النظرية والشكلية التي ظلت تحجب الغابة بظلالها الكثيفة.

ودون البحث عن «مشاجب» مناسبة لتبرير «العزلة» التي ـ ربما ـ عاني منها الأدب الاريتري المكتوب بالعربية لسبب أو آخر (باستثناء بعض الأسماء التي أفلتت من ذلك الواقع)، فإن الأمر الذي يستحق البحث والدراسة ـ في اعتقادي ـ، يتعلق بمحاولة دراسة المنتج الأدبي الاريتري، وقراءته بروح نقدية مجردة، أخذاً في الاعتبار السياق التاريخي الذي ساهم في إفرازه بهذه الصورة، لغة ووجدان، سيما وأنه نتاج مجتمع يتنفس التنوع والتعدد الثقافي واللغوي، والذي تنازعته تاريخيا عدد من الثقافات والحضارات التي أسهمت بدورها في صقل وإثراء التجارب الفنية المختلفة، بدءا بتأثير الأبعاد القيمية والعقدية وحضور الأساطير، والفنتازيات والحكايا، في المخيال الأدبي، وليس انتهاءا بالقاموس الشعري، والإيقاعات الغنائية والفنية المتعددة الطبقات.. وهي العوامل التي لها حضورها حتما في الموروث الشعبي الباذخ والثري بالتعدد، حيث للتاريخ حضوره دوما في «أي منتوج أدبي / فني، بما يحمله من معاني ومن تجارب وقيم إنسانية ذات الدلالة السامية.

والواقع أن المشارب المكونة «للتجارب الأدبية» الاريترية عبر التاريخ، تشير إلى تعدد الروافد والمناهل التي لا تنتمي إلى «ثقافة» أحادية الطابع، بقدر ما تنتمي إلى حضارات إنسانية متعددة تفاعلت وانصهرت في بعضها البعض في هذه المنطقة من البسيطة.

حيث تشير الدراسات التاريخية، أن انهيار سد مآرب باليمن القديم في القرن السادس قبل الميلاد قد دفعت أفواجا من البشر إلى النزوح نحو المناطق التي تشكل دولة اريتريا الحالية، حاملين معهم لغتهم العربية، بكل ما تشكله من مضامين ثقافية وأنماط حياتية لم تكن معهودة في «الوطن الجديد» من أساليب الزراعة على المدرجات الجبلية إلى غيرها من الوسائل المعبرة عن ثقافة مختلفة، لتصب في الوعاء الثقافي للواقع الجديد وتشكل رافدا حضاريا جديدا، في تزاوج وامتزاج ثقافي نادر الحدوث في ذلك الوقت المبكر من التاريخ.
لتأتي «الهجرة الأولى» لصحابة الرسول الكريم في العام الخامس للبعثة المحمدية، نحو المرافئ الاريترية حيث بني أول مسجد للإسلام في منطقة «رأس مدر» بمدينة مصوع الحالية، وتلك الحفاوة التي استقبل بها الدين الجديد (الإسلام) وانتشاره بشكل تلقائي يتصف بالسماحة والقناعة العقدية في الضفة الغربية للبحر الأحمر، كل ذلك ساهم في هذه التعددية الثقافية وامتداداتها الراسخة لغة وثقافة إنسانية وقيمية.
لذلك لم يكن غريبا أن تكون «اللغة العربية» هي إحدى المكونات الأساسية للثقافة الإريترية، وامتدادها الحضاري والإنساني.. فضلا عن كونها «اللسان الفصيح» لأحد التشكيلات القومية الإريترية الحالية، بالإضافة إلى اعتبارها منذ بدايات الحركة الوطنية الاريترية في منتصف القرن الماضي، إحدى اللغات الرسمية لإريتريا المستقلة.
هدفنا من خلال هذا التمهيد وضع القارئ العربي أمام الواقع التاريخي للثقافة الاريترية التي قد لا تبدو لديه واضحة المعالم كما ينبغي، لأسباب متعددة، أهمها شح النتاج الأدبي المكتوب

بالعربية، فضلا عن «الإشكاليات» المتعلقة بالترويج والنشر، والتي ساهمت بدورها في «عملية العزلة المفترضة»، مما كرس واقع الغياب النسبي عن المشهد الثقافي العربي.

ربما كان للعامل السياسي حضوره، حيث من الواضح أن هذا المدخل لا يزال يسيطر على التعاطي مع الأدب الاريتري من قبل بعض الجهات المعنية بالنشر.

وباعتبار أن أي عمل أدبي / فني، هو ابن بيئته وسياقه التاريخي، فإن ما لا يمكن إنكاره ـ في الآن ذاته ـ، هو أن للمعطى السياسي تأثيرا تاريخيا ـ واضحاً ـ، في العملية الإبداعية الإريترية بكافة أشكالها في وطن سكبت فيه الكثير من الدماء لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن ـ هي فترة الكفاح المسلح ـ من أجل الاستقلال، فضلا عن عشرة عقود من النضال السياسي في سبيل صيانة الكرامة وتحقيق الهوية الوطنية.. لذلك لا غرو أن جاءت معظم المواد المدرجة في هذه المجموعة، معبرةً عن ذلك الهاجس الذي لا يزال يسكن روح النص.

وختاماً وباكتمال هذه الانطولوجيا ووصولها لبدي القارئ، متضمنةً أعمالا مختارة لبعض المبدعين الارتريين الذين يكتبون بلغة الضاد، نرجو أن نكون قد ساهمنا في الجهد المبذول لإضاءة بعض أجزاء اللوحة التي لن تكتمل ـ حتما ـ بإصدار واحد.

محمود أبو بكر آدم

الجزائر - جوان 2009

الشعر

محمد محمود الشيخ (مدني)

من مواليد عام 1955، بمدينة حلحل.
عمل بإذاعة: صوت الجماهير الاريترية.
مقيم بالمملكة العربية السعودية.
صدر له:
نافذة لا تغري الشمس، شعر.

تحت الحياة فويق الممات

قداس خاص للملاك إسرافيل

خيزرانٌ نابتٌ في القلب، برعمتِ القصيدةُ
عشقَها فضَّ البكارةَ،
مرةً مرت فضيلتُها على فسقي
فسُقتُ سلالتي كيفاً،على كيفي
فكيف ترونني؟ أهوى جسارتها
علي أنا الذي وهب الجسـارةَ
نبضَها سلب البكارةَ فضَّها وأحضُّها
دوما على نبذي وأعشقُ
رفضَها للكل جزئياً وتبويبَ الرجال.

من حقِّها
أن تنظِم العشاقَ مسبحةً
تروضَ غابةً
حتى يعود هزبرُها
قطا أليف.
هل ذا يخيفْ؟
ماذا؟
أتنوونَ انتزاعَ القلْب
من نسق الوجيفْ؟
حقاً
سلالتُنا ضلالتُنا
ومنبعنا مصبٌ للنزيفْ.
هذرُ السؤالِ
جوابُه
جدُّ الحبيبة أن تضيفْ
حَسناً
وكيفْ؟
سنطاً وجُميْزَ نيلٍ
حنانَيْك نيمْ
من ذا سيرحلُ
من ذا يقيمْ
سأكتبُ أغنيتي
ثم أذهبُ نحو الجحيمْ.

ثم من سوف يكتب عن يومنا غدَه؟
أصنعُ التواريخِ ينجبُ كتّابَها؟

نحن من حقِّنا..
أن نشيرَ إلى الجنةِ القادمة
إلى كلِ جيمٍ تدق على بابنا
أن نردَّ مشيئةَ أربابِنا
كي نرى ما بنا.

هذي الجبالُ لكم تحتاجُ ساريةَ الذي
يأتي من السهل الفضيحة
في مسوحِ العشق لا في غِطرسات الفاتحينَ كأنها قُدَّتْ على
قلبي وقلبُ تميمَتي يزدانُ بالدمِ والحروقِ المطمئنة لانتشار
الدمعِ في لهب الغناء سلامُهاٍ حَربٌ عليّ عَلوُّها نفَقٌ انحدار
نحـوَ هاويةِ السـكوتِ أسـكُ ساريتي يحـاصره الجنـودُ وًا/
أو تراوده
النقـودُ فهل يعودُ أم أنّه جلمودُ فكرةِ صاعدي سـفحِ الحكاية
من ذراري الصامتين؟.

أهو اليقينْ؟
أهو انتقال النبض
في قلبي إلى الجهةَ اليمينْ؟
خرَّت عروشُ مادتِ الأرضُ
انفلق بحارُها
فمتى يطلّ برأسه هذا الجنينْ؟
داوود زمّرَ
والجواري رقصْنَ
لكنَّ الحواةَ
يرونَ في الطينِ العجينْ.

زفُّوا عرائسَكم
إلى النيل
انحنُوا للشمسِ
ولتَشْخَصْ عيوَنُ صغارِكم
نحو الرنين
هذا زمانٌ
هانَ فيه الذلُ
فارتفعتْ
رؤوسُ الخانعين.

خَدَرٌ يخادعكم
فتختدعون
يا شبه الرجالْ!!
ما بين صَفْعَتِهم ولفْتَةِ خدِّكم
وجعُ المآل.

رُدُّوا البضاعةَ للمسيحِ
الآن يقتربُ الزوال.
لاذَ المغنّي بالنشيج
وردَّدَ الكورال مرثيةً
فقال:
يا أيها النجمُ الذي
ماعادَ يهدي للشمال
ضيعتَه طفلاً
وحمَّله حواريوكَ هندسةَ المُحالْ
أضرِبْ جذورَك في عتيق الخمرِ

لا
وطناً ترجي
لا
حبيبةَ تشتهيكَ
ولاْ
عيالْ
ها أنتَ تعتزلُ النزالْ
أوغَلْتَ فِي ترفِ التماسكِ
صُدَّ عنكَ الغيرَ
زدْ بُعداً
تَعال.

19

أنا الريحُ
تأخذني الاتجاهات إلى غيرها
كي أردَّ احتمال المنافي
إلى الأمكنةْ.
أنا الريح
تأسرني ثنيةُ الكمِّ
في ثوبها
فأغازل أطرافَه
بالهفيف وبالدوزنةْ.
أنا الريحُ
لا أعرفُ الالتجاء إلى ركنِ بيتٍ
تراني هناك
تماماً كما قد تراني
هنا.

إذا كنت تستغربينَ العلاقةَ
بيني وبَين الهواءِ
فلوذي بجهلكَ
كي تعرفي منْ أنا؟.
فإنّي أشدّ الهواءَ
من الخصرِ حيناً
وحيناً
أبعثره كي أرى
ما الذي أحْزَنَهْ؟.

لأنِّي إذا مت استشاط بي الشـوقُ أدفنُ رأسي
برمل السمـاء أمدُّ المراثي إلى المتعبينَ بحجـم
الغناء ولا أعرَف الوقتَ إلا وهيجَك فلتذهبَي
للجحَيم لعل اللقاءَ يكونُ بُعَيْدَ اللقاءَ أسيجُكِ
الآنَ بالانتماء تعالَي فـلا غيرَ لي غيرُ غيركِ
إنِّي أغار من الأمِ والرب والأصدقـــاء.
لهمْ
للذين يذودون عن كوننا
خارجينَ عن الضجة القائمةْ.
لجيش السكارى
إذا ما أقام الإمامُ
الحدودَ عليهمْ
وذادَ عن الفرقة الآثمةْ
وللواقفينَ على حافة النطع
بين القيامة والانتصارِ
لحالة عشقِهم الدائمةْ.

لكلِ الذين يموتونَ
ـ قبل الميعادِ ـ وكلِ
الـ.. يؤرِّقهم
عشقُ هذي البلادِ
وكلِ العباد
إلى آخرٍ... القائِمةْ
سيقذف سيزيف صخرتَه
ويغادر إبليسُ لعنتَه
و ـ يطير الحمامُ ـ
إذا
قامتِ القائمة.

سيهاجر أبناءُ يعقوبَ بالأمس كانوا يصفونَ أسماءَهـم
في المسجلِ عدا واحداً قال إن الحياة هنا لا تطاق ولكنني
لن أســاقَ إلى النطعِ مثل العروسة حين الدخول على..
هل ترى أهجرُ الأرضَ كي أحتمي بالسماء الهيولي هناك
وهل من هناك؟، هو الخوف من رعشة الاحتكاكْ وإدمان
أن نستجيرَ من الماءِ بالعطر من ليفنا بمزيل العرق.
ويَعْبَسُ عباسُ
ثم يولي شطرَ الذي
لستُ أدري
لماذا مجردُ قولٍ يقود إلى القارعةْ؟
لماذا تساءلتَ يا وارداً كدراً؟
والجوابُ لديك
وصفوُ الجواب
لدى القامةِ القارعةْ.

أحبُّ الخلائقِ للناس
عباسُ
رغمَ العُبوس
لأن اليربي أبَناءه
بالحديد
سيأتونَ بالحيلة البارعةْ.
وعباسُ يفتح لَلناس أبوابه
دائماً
مثل شرطي المرور
كما يشتهي يفتحُ الشارعَ.

الحالات السبع

الحالةً شيء آخر
أن تكتب أو لا تكتب
أن تقتل أو لا تقتل
أن ترقص حول النار تدور

ثلاثاً
ثم تكون
أو تنداح
فالرؤية والحائط
بينهما مفتاح.

2
هاك المفردة التكوين
تقبل هذا الازميل

وبارك صقل الأشياء
ما كنا في السابق
غير اللحظة والإدمان
لكنا الخبز العشق
المعركة الآن.

3
ضد المفردة الوسطى
ضد الحيرة بين الخشبة
والجمهور
وجعي حتى وجعي
منكفئ في الداخل
يحرسه
سجان

أدرك أني باق ذاهب
أو مرتحل موجود
ضد الثورة بالمجان.

4
الحوت الآن يعض الحوت
لن يخرج يونس
من قعر التابوت.
إلا
أن نعرف
كيف يموت الحوت

ونلامس ساحلنا المأزوم
سيموت الحوت
يموت
لكن يونس
سوف يدوم.

5
أرسم بالعشق وبالفرشاة ـ الحقد
متاريساً تترى
تتقمصني بالعشق (عدوليس)
وبالحقد العامد
أتقمص زهرة.

الصالة تنتظر الخاتمة
ـ التبرير ـ
وأنا والظل الأبيض
والبذرة
خاتمة أخرى.

6
حين يكون هنالك أخدود
فاصل
بين المقعد واللا
بين الشحاد المهترىء واللثة
والمتخم
بين المنطرح الساعات

على شرفة هيلتون
والقابع في قعر المنجم
فلماذا نكتب بالحبر

لماذا نكتب بالحبر
لماذا
لا نبصم بالدم؟.

7
ضد المفردة ـ الإيماء ـ
سنهز الصالة
يرتجف الجابي
ينتبه الجمهور
ويهتم

فالحالة شيء آخر
أن تقضي جوعاً
أو
تأكل
أن تحني رأسك
للكرباج ثلاثاً
أو تنتزع الكرباج

وتستبسل

أن تدفن في وجه الأبيض
إسفينك

ثم تكون
أو
تأفل
فالحالة
والحالة
بينهما تل.

1979 /2 /14

حقلها من هنا

حقلها من هنا
بيدري من هناك
أن تساكن فهمَ الحراك
وتبرحَ جثتَك الهامدةَ
أن تنام على صفحة في الكتاب
تخيِّط وقتين في قهوة واحدةْ
أن تفز لطقطقة الباب
تدلق قهوتك الباردةْ
أن تشذَّ عن القاعدةْ
تتكومَ
ظهرك للباب
بابُك
في مفرش المائدة
هو أن تفاجأ الوقتَ
تربك لحظته الشاردة.
صديقك مَنْ

يا صديق الضرامْ
لا تني تستعرْ
بين ثأر وشاَمْ
أرْخه يا فتى
أرخَ هذا اللجامْ
فالمدى ضيقٌ
والطريق التزامْ.
تصدرتِ المشهدَ القبعاتُ
أرانبُ
أجهزةٌ للقياس
أضابيرُ
فئران
واشونَ
ألسنة
مرتشون
أبالسة
مؤمنون
كرادلة
مترفون
زناة
ومن كل فجٍ حواةُ
أتوا
قرفصوا
شربوا
....
ثم فاتوا.

أبهظتني الحياةُ
سأنفقها
كيفما تشتهي
المرأة المشتهاة.

سوف أبكي إذن
سوف ابكي
فأبريل ما عاد يُضْحِكُ
والكذبةُ الآن
لا لونَ
لا طعمَ
لا رائحةْ.
الكذبة الآن
غاديةٌ
رائحةْ.
قراقوش مظلومُ
دينوا جحا
فبعض الخوازيق لم تأت
إلا
على نكتة مالحة.

سوف أبكي إذن
أو سأضحك ضحكتي النائحة
فالمنافذ مفضيةٌ
للقبور
مشارعَها
الـ (فاتحة).

قتيلٌ يشيِّع أحياءَه

قلتُ يا امرأةً في العلاقة تستأنسُ اليأسَ مرِّي بظفر الشفاه على نبضة في المسافة بين الوريد وبين الخيال خذي ملءَ حزنكِ من رعشتي رتبي وحشتي كي يكون الكلامُ الذي لن أقول التزاما بحرف الحقيقة عن حدها والحديقة عن وردها والحروف الطويلة عن مدها والعلاقة بيني وبينكَ أن تتزوج من ضدها.

فاستمري إذن لا تثيري الغبار على الصمت لا تهزئي من خطاب الغواية فالصمتُ منذ البداية كان اكتناه العجين المضمخ بالجنس والسجن في فجوة الانتحار البطيء تطأطئ كل القوافي إذا اشتد بأس المنافي على العشق والشعرُ "نوم العوافي" فيا امرأةً من جريح الخيال استعدي لمعشقة من قصيد خرافي.

لنار تغادر بركانَها أنتمي
والمياهُ التي تحتمي
من مصباتها بالطمي
ثم من غيهبٍ
قطرةً
قطرةً
ترتمي!
حد خلجانها
لا يواكبها
في النزيف دمي
فبُعَيْدَ المسافة وقتٌ جديدٌ

ولون المواعيد في الرائحة
إذ تشاكسُ
إذ لا تميل
مع الكفة الراجحة
حين يلغي النشيدُ
حدودَ فمي
وتغني الحبيبةُ
في مأتمي
فافهمي!!!
شفرة اللحظة الجارحة
مثلما كنت بالبارحة
ملحَ جرحٍ على المعصم
واهزمي
شبهة الوقت والموسمي
في تـفاصيلنا الشارحة.

المكان على نحو بعض وخوفين من قبلةٍ في ضمير الشفاه، الزمان انتشار الوشاية كل المسافات نصف اتجاه هنا نستعين على الشرق بالاشتباه وندفع بالغرب نحو المتاه هنا يا إلهي سنرتاد عزَّ الوشاية تلك المقاهي ندخن أو نتشاجر من سنسمي البنية، تستدركين.. لماذا؟، فقد لا يمن علينا الـ.... أحاول حسما على الفور لكن....على نحو عشقٍ وخوفين من قبلة في شفاه، يستطيل كما كنت دوما أراه واقفاً في انتباه.

لبوذا
سلامُ السكينة والانسجامِ
وترياقُ صمت الكلامِ
له أن يضوع كما الورد
أو يحلق مثل الحمام
له أن يوحد بين الحلال
وبين الحرام.
لبوذا
التراتيلُ والنيلُ قبل المصب
وبعد الفطامِ
وأن يشتريكَم من الجوع والخوف
والضرب تحت الحزام
بأن تهربوا للأمام
وأن تزحفوا للجحيم ببطء
ولكن بكل انتظام.

تضـوأتُ منـك، انتضيـتُ سـبيل الـصراط الـذي تصبحـين الـضرامَ عـلى جانبيه اتضحـت تمام القيامـة ضدين في صالح الوضـوء جنابـة ضرب الدفـوفَ ضيـاءَ اليراعـة في التيه ضمَّ الخلافـة للملك أضغاث حلم البغـال بضوضاء يوم المخاض اخضرارَ الضريسـاء من سـقية البحر أي ضلـعَ آدم، ضوعي كعود البراهما يضل الطريقَ بخورُ الضجيج.

هو الآن وقتُ القيام
من النوم والنّم والانَفصامِ
لنا الآن أن نستعيد

ببعض القصور جميع الخيام
وأن نشتري بالسهاد هجين المنام
لى الآن أن أحتفي باتهامي
بتحريض بدو الصحاري
وتجميع جيش العوام
ولي أن أغير شكل السلام
وأن أستميح كسيحَ الكلام
لأكتب نقصانكم بالتمامْ.

مناورات تكتيكية
نحو مبادرة إستراتيجية

أحتاج دوزنةً
تفك حبالكم عني
وتربطني بكم
كيف التقيتم خلفَ نافذتي؟
تجمهرتِ البنادقُ
ناصبتنيَ الشعرَ
والخوفَ المسيجَ بالخمور.
قرّبت بين النساء
وباعدت بين النساء وبيننا
نادوا الوصيفات الشهود
وكل خدام البلاط
هذا النكوص يخيفني
سأدس باطنَ راحتي في صدرها
وأظل أعلن أنه ـ قد قد من دبر ـ
فكيف ترونني؟.

أحتاج دوزنةً
وترًا جديدًا
لا يضيف إلى النشيد
سوى النشاز
لغةً
تفتش عن أراضٍ
خصبة
شمسًا
تغير طعمَ فاكهةِ الشتاء
وقتًا أجاوزه لوَقت قادم
لا وقتَ فيه لباعةِ التصفيق
واسم العائلة
هذا زمانك يا عمائم
فلتقودي (الغافلة).
نحن السكوتُ
نموتُ
إذ تختارنا ضمنَ المفاضلةِ
البيوتُ
يفرُّ لونُ دمائنا عنا
فتنسحب القصائدُ

أو
تبادلنا الحيادْ.

صمتًا تحاورُنا الطريقُ
وتنزوي طرق البلادْ.

لا
لأعدائك والمعتزلة
للذين يحاصرون الحربَ من تمييعها
حتى تباشير الفطام
عن الصدامْ.

لا
لكل "اليشبهونَك"
من بيوتٍ وبناتٍ
وبلادْ.

لا
لابتعاد الحزب
عن حرب تقود إلى
السلامْ.

لا
لاقتراب الحرف من حل
يحبل إلى رماد
للشهداء
والفقراء
جمهرة النساء
العاهرَات.

لطفلنا الآتي
وكومِ اللاجئينْ

للداعين في الصلوات
أن نْشتمّ عطركِ
أي نعم
هتفنا
ما سمعتم
ثم هاترنا
انصرفتم
هددنا بأن...
ما استترتم
هدرنا

ها يهتّـف دمعُـنا
ودم
يعاندُ أن يَجِـفَّ ولا يُـرَدْ.

سيمل أطفالي الصغارُ البحـَر
يا بحرًا يجاوز في سكونه
كلَّ حدْ
يا بحرُ
قـُم
حرك
تحرك أو فعد
نحو ابتدائك فالنهاياتُ البعيدةُ
لا تحدْ
ألفظ جحيمـَـك
أو فغادِر ساحليك إلى الأبدْ

جيئي بخاتم مُرسَليك فقامتي
ضد اتجاه الريح... لا
تستغربي صمتي... لا
بقافيتي التي تختارُ أن تختارَ
أن أشتط فيك وفي مواجهة السؤال
المستمد من السؤال الينتهي
بعلامة
لا تحملَ اللونَ المحدّدَ للصفوف
أنا أحدد شكل قافيتي
لونها
فيحيلني للموقف الآتي
أنا الآتي
هلمي
املئي كفيكِ من
زبد الوداعَ.

أحتاج مفرزةً
من الشعراء
والجوعى
لنعلن سخطَنا
أو ننتهي منا
بأغنية تذاع.

أف لأمي
ألفَ أفٍ للجميع

أبي
أولي الأمر
الذين تآمروا
وتدبروا
أمرَ العوائل
والعيال.

هذا زمانك
يا زلازل
زوجينا
ما نكابد أن ننالْ
لليوم غدْ
ها.. أرعدتْ
في الأفق مذْ
إنا تعبنا
من خروج الطفل في
حجم السّلحد.

هزي بجزعك
إنني اشتاق أن ألقاك في وهج الجسدْ
مدي بخنجر ناهديك
فتستقيم خريطةُ الإخصاب
يأتي جيلنا
كالرمل
منفصلا / أحدْ
لماذا لا نغني بلغات الأم؟

إنـّا
ما نزلنا
من
رؤوس
أنوفنا
إلا
لنصعد في الغيابْ
ولم التفتنا
للسماء
لعلها
والسـُّر يحضنه الترابْ
هذا
كساد تجارة العرافِ
والعراب
والأمل/ الخرابْ
للعشق
والعشاقِ
موثيتي
وأغنيتي
لقبر فوق ظهري
يبتدّرني
كلما أزف الستارْ
قبضُ إلمياه هنا
وتشكيل الهواء.

هـ
ن
ا
ك
هندسةُ الدمار
يا لهفةَ المأموم
صلى فرضَه
قبل الوضوء
هذا ظلامُ النار تحرق
مشعليها
دون ضوء
كتبي وأطفالي المضوا ـ آتون
عمداً ـ في القصائد في العلاقات
الجديدة للكلام / الفعل بالتنظير
بالتنظيم
بالتنجيم.
يا حزبَ الصدام الفصل
هذي نقطة للبدء ـ خطٌ للمسير
فلا تهادن.

لماذا تضخـّم هذا الجبل؟
وأي طريق يسدُ؟
ألِلأمس يمّتـدّ
أم الليالي التي حبلت بالشموس يُعدّ؟
ما همّنا؟

الشمس أم للـ ...
بلى
همنا أن يُقــدّ!..

رؤياكِ ضِد كتابتي وتصوري
للون َحداً في الجرائد في اللقاءات
العديدة بالبنات / الزنجبيل أو الرجال /
الثلج يا تنوري الوقاد
(دستك) ها أنا
حجرُ الأساسِ
إطارُ فكرتنا وأرضُ المتعبين
ستشهد العرسَ الكبير
للذي نادى (بأيلول) على الناسِ
سلامْ
للذي وَحـّدَ (حَلْحَلَ) بالعشق وبالموتِ
سلامْ
و(القلوج)
سلامْ
و(لعندات)
سلامْ
خالفَ الآمر وعضّ
على أن (مضادّة)
لن تنامْ
فسلامُ
وسلام:

السراب يجاهد الأخبار أن تلبسهُ
أو تُـلبسهُ صورتها
سرابْ
ضاقَ الخرابُ بضِيق رقعتها
ضيقَ التراب بظلِ خارطةِ الخرابْ
هذا الحنينُ إليكِ عَطّـل في أغنيتي
أهداني
سكوتاً لا يُؤرَّخ للعذابْ
إنه الصخرُ العـجيبُ
وقـَـعَـتـَهُ يؤلمك
أو
وَقـَـعَـكَ تـُصـَابْ.
بمن تنهض القافية؟
أبالسيف أم بالرغيفْ؟
أيا تكتبون وكيف تقاتل قافية.. (غافية)..؟
والحبيــــــ... ومال الحبيبة..؟.

رعـــبُ وحيفْ
أنا
أكتبوا
بالحبيبة
والعائدين
وجوعي المخيفْ
أدوزن أغنيتي التالية
وأرفض
أن نكتفي

بالرصيف
تابعوا ما شئتموا
أو طاوعوا من خفتموا
فالزاحفـــون إلى الفجيعة
انتموا
فقط أفهموا
أن
لا وثيقة أو وفاق
ولا حقيقة أو وثاق
يخفي عن الأطفال عورة
من دفنتم من رفاق.

محمد عثمان كجراي

من مواليد عام 1928.
توفي عام 2003.
عمل معلما ومرشدا تربويا في السودان، قبل أن يعود إلى اريتريا بعد الاستقلال ويعمل مديرا لمدرسة الأمل النموذجية.
أشرف على جمعية فكر وإبداع الأدبية بأسمرا.
كما أشرف لفترة على ملحق الآداب والفنون الذي كان يصدر من جريدة: أرتيريا الحديثة.

صدر له:

الصمت والرماد، شعر.
الليل عبرغابة النيون، شعر.
في مرايا الحقول، شعر.
خماسيات أبي الشول، شعر للأطفال.

كلمات من أجل نيسابور

واهاً لنيسابور
تنؤ بالأحزان
فاجأها الدمار فاستلقت على قارعة الطريق
دامية العيون لا تملك أن تنفذ من دوامة الحريق
وريدها ينزف
نبض قلبها يهتز تحت خيمة الدخان

في ليلها يرتعش الصخر
يجوس الذعر في خرائب المكان
يختنق الجماد
والنبات
والإنسان
واهاً لها ترقد كالفريسة المخدره
تنام في دائرة الظل كما الحقيقة المزوره
تاريخها الناصع فى امتداده
يرزخ تحت ثقل الآلية المجنزره.
لو مرةً واحدةً تنمرت عيونها
لما غدت كالساحة المهجورة المسورة
لأنهد عرش الصمت
جاء الصحو عبر اللحظة المدمرة.
أبحث في دروبها عن ومضة الرفض
فلا ألمح غير غصة الفجيعة.
قضاتها يمشون في دائرة الشيطان
يمتشقون السيف
يستثمرون مطر الحزن وغيم الصيف
يبررون الزيف
ومنطق الكارثة المريعة
يقايضون الخبز بالشريعة
في الساحل الموحش عبر اللحظات الحالكة
نعرفها طريقنا مخيفة وشائكة
تحرسك الملائكة
يا ساحة الفيروز في اخضرارها
يا وطني تحرسك الملائكة.

الـصَّمت والـرمـاد

كُخواءَ مقْبرة تعيشُ على سديمْ
تجتَّرُ مهْوى الذكريات تثاؤُباً
من ألف عام تمضغُ الأحْقادَ
تُفرِزُ حُلكةَ الليل البهيمْ
ويجُوسُ في عَتماتها صَمْتٌ أليمْ
صمْتٌ لهُ لوْنَ السَّديم ونكهْةَ الأبَدِ القديمْ
كانت حياة الآخرينَ
وحياتنا
وهْماً كأصداء الخُطَى
في جبْهة الأفقَ البعيد، متاهةً للعابرِينْ
صَمْتاً تجسَّدَ في عيُونِ الحائرِينْ
أصدَاءَ ملجِمةً
وأشباحاً تجوسُ الدَّرْب تسْخَرُ من حياة الآخرينْ
وعيُونُهمْ
مصْلوبَةَ الأحداقَ تُمْعِنُ في الفِرارْ
ترْتَادُ أودْية السَّرَابْ
تلوذ بالوَهْم المحُنَّط في تُراثِ الغابرينْ
فمَنِ الذي سَيشُقُّ أوديَة الصُّخُورْ...؟
ويهزّ أعماق الجذورْ
ويلقَحُ الأرْضِ النَّدية بالبراعِم والبذُورْ
وَحْدي مع الموتَى أصيحُ:
أكانَ حتْماً أن أذوبْ؟
أترَى أعيشُ لأشْهدَ الموْتَى يشُقُّونَ الدرُوبْ
ويُباركُونَ بُحيرَةَ الحقْدِ المقدَّسِ في ابتْهَالاتِ الغُرُوبْ

شَلاَّلٍ نهْرٍ جامح الوثبَاتِ هدَّار العُيونْ
ويمزِّقونْ
أكْفانهُمْ
تِلك التي اهْتَرَأتْ نَسيجاً من رَمَادْ
أترىَ سَيَنْتَفِضُ الرَّمَادْ؟.

ربوات

إلى روح الشاعر الراحل
محمد المهدي المجذوب

نمت علي ربوات المدينة أنغاما
غير أن المدينة
غانية تتعلم كيف تمد علي شرفة القصر
حبل الغسيل
ونسأل كيف ترف البشاشة فوق الصخور
ليورق وجه الزمان البخيل
يزلزلنا السأم الدائري
ويقتلنا الزمن الشاعري
نحب الحياة
ولكننا في كتاب الحياة
زنابق حقل
يفاجئها الموت
ويذكرها الناس
مساء الفجيعة بعد الرحيل.
فكل أحاسيسنا تتهاوي وتسقط
ويحرسها الموت عند احتراق الأصيل

وأن الحياة مع الألم الدائري صدي
مثل لون الفجيعة مثل اختناق العويل
نموت كموت العصافير في أول العمر
ميلادنا ومضة برق
ثم حضور الفجيعة في لحظة الاحتراق
نجئ ونمضي كأنا خيول
علي الأرض تركض في حلبات السباق
تغيب المحطات لا يبغي سوي غسق
يتكثف بين ركام الفصول
تمزق أحشائنا يا لبكر إذا ما تناسى الفرات
خيول المغول
فكيف يراق على أرضنا الحلم
والزمن الدائري ظلام وغول
زمان البراءة ولى
وجاء زمان الفجاءة
من بعده العنكبوت يصول
فيا هدأة العمر أن الخلود نداء
يجيش بأعماقنا ظل رؤيا من الساحل القمري الطويل
دعينا نعانق غانية الحلم
حين تمر على أفق المستحيل
دعينا نحلق فوق الفضاء
نجرب قبل مجيء القضاء
حروف انفعالاتنا في كتاب الرثاء
بقايا نشيج ترسل
من صوت قمرية فوق غاب النخيل.

الاحتراق في مواسم الرياح

أقولُ لثلَّةِ الأحباب لا تأسوْا
إذا ما رنَّ صوْت الحزن يقطر من كتاباَتي
فإنَّ الحزْن يوُغظني
يُلاحقني يلوِّنْ دغَل مأساتي
أنا منْ أمَّة سكرى بخمْر الصَّبر
آه يا لخمْر الصَّبر تخرس آهاتي
وتخنق لي عبارَاتي.
يمرُّ العامُ تلو العامِ
لا الأحْلام تصدقَ
لا ركامُ الهمِّ يسقط منْ حسابَاتي
ويخجلني امتدادُ الصمْت
لونُ الصمْت
عرى الصَّمت
في جذْب المسافَاتي
تسائلنيُ عِصاباتٌ من الشُّعراء والفُقراء
عن نار تمدُّ لسانها المسْعور في ساحاتِ لوْحاتي
وعنْ عَبق من الكافور
وعنْ قبسٍ على الدَّيجور
كانَ يضيءُ في كل المساحَاتي
وماذا يا رفاق الدّرب ما دامتْ
تزلزلنا رياحُ القهْر والإحباط في عقْم البدايَات؟.
وها أنذا كمجذوبٍ
يسيرُ على هواهُ
بجدٍّ، يظهرُ في جمُوع السَّفر في كلِّ القطاراتِ

فياَ شمساً تغيبُ هناكَ
بينْ البرزَخ الممتدِّ في أقصى المداراتِ
أتوهُ أظلُ أبحثُ عنك
بْينِ موْاكب الدَّهماء
خلف مرَافئِ الظلماء
فوْق مجرَّة الأسماء.
لا ألقي سوىَ صمتٍ يغربِلُ لي عذابَاتي
رأيتُ الليْل مسعُوراً يمزق لي شعارَاتي
يقودُ مظلة الإعصار يسْخر منْ معانَاتي
وإمَّا لذتُ بالأحيَاء يلقيني على أبوابِ أمْواتي.
رفعتُ على رُكام الغيْب
فوْق مدارجِ المجهُول رايَاتي
فيا وطنَ الضياع المرِّ يا نصلاً
يمزقني ويكثرُ منْ جراحَاتي
متىَ ينسل موجُ الضوَّء
يغسل رمْل واحَاتي؟.

أنفاس البنفسج

بسمة بسمتان
قبلة حلوة
قبلتان
البنفسج أطلق في الروض أنفاسه
رقصت في غرور الهوي وردتان
وأطلت على ساحة العاج رمانتان
نضر الله وجه فاتنتي

قد دعتني إلى هالة العشق عصفورتان
نبهتني إلى روعة الحسن غمازتان.
عرف الجلنار تفاصيل عشقي
تحدث عني وعنك كثيرا
فتموج عطر الندي
وتموسق كل الصدي
هأنا أتبعثر كالعطر فوق محيط المدى.
واستدار الزمان
عاد يطرق بابي ليأتلق العشق فوق وجوه الحسان
يورق العشب ينثر أشجانه
فوق قوس الكمان
حين يحتشد الضوء لا بد أن يتجسد
في ألق الكهرمان
يرتدي الورد ثوبا من الأرجوان
كلما زارني الحلم
ألمح في شرفتي الكروان
ويعود الهوي
مثلما كان في ذروة الوجد والعنفوان.

ها أنا أتحرق أبحث عن قطرات السنا
ما تبقي على ساحة العشق غير هنا
يا عيون ألمها
من تراه الذي في الدياجير فرق ما بيننا؟.

عبد الرحمن إسماعيل سكاب

من مواليد عام 1939، بمدينة كرن.
توفي عام 2004.
تلقي تعليمه في كل من أرتيريا ومصر.
تخرج من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر،عام 1974.
عمل معلما في صنعاء، اليمن.
عمل بالدائرة الأدبية التابع لمركز الدراسات والبحوث اليمنية.
نشر عدد من أعماله الشعرية في الصحف والمجلات اليمنية والعربية.

طائــــــر

آه للساهر الشجي مضى الليل وما زال دمعه سحاحاً
ساكباً من يراعه قهوة الوجد وقد داق مزجها والقراحا
داعبته أنامل الليل قيثاراً خفياً يراوغ الأشباحا
قد تحسيت لحنك العاطر الإيقاع شوقا مرنحا فواحا
أنت في السرب طائر صافح الأفق وقد صاغ من دجاة الجناحا
وأراق الشجون في مسمع الليل سهاداً مضيئا يحث الصباحا
وشع القفر بالأهازيج فاختال ربيعاً مفوفا منداحا
والليالي حوافل ملء جفنيه دموعاً وغصة وجراحاً
أترعت كأسه سلافة أحداث الليالي وصرفهن فناحاً

أثخنتـه النصال من جارحات الدهر حتى تخرمته اجتياحا
ولحاه السرى بكل صرام من حريق الجوى فذاب التياحاً.

وتـعـالـت أنـاتـه فـاعـترى
الأفـق شحوب أراقـه أتراحا
ملء أضلاعه التياعات سرب
ودع الأهـل غربة وانتزاحاً
وبعينيه دمـع كـل شجي
رق للعهد من هـواه فناحاً
راعــه قيد ألـفـه والــروابي
حوله أسهب ترامت فساحاً
يا له ناسكاً تهجد في محراب
بـلـواه شـاكـيـاً ملحاحاً
دأبـه يغزل المـواجـد رايـات
عـلى الأفـق خافقات سماحا
إذا يصوغ الدجى وداعة عش
هدهد الجـرح بلسماً وسماحاً
حسب آياته طيوباً تناثرن
عـلى دربـه شـذا ونـفـاحـا
إذ يجوب الخميل أنـداء راح
ريقها بـات للعفاة فتاحا
واعتلى من جناحه زورقا جدف
في الأفـق غائصاً سباحاً.

مشكاة

أنــا لـلـوجْـد وبـالـوجـد أنا
مــا لــه مــن ســادنٍ إلا أنــا
أنـا في الآفــاق مسْكٌ جانح
تتحساه انـعـتـاقـات المُنى
أنــا مفتون يناجي حدسه
عافياً كل انبهارات الدُّنا
تزدهيني في حمّيا لحظتي
سٍبحات من معانيها السَّنا
يـا لــه عـطـر رحـيـق علّنا
مــن جـنــاه ولــقــد أنهلنا
أضرمتْ وجدي جَوارٍ أقلعتْ
عن مراسيها عويلاً مُثخنا
وانثيالات حنيني اشتعلتْ
أنجماً بالسهد تُقري الأعينا
أيهــا المــاضي إلى سدرتنا
ســائـلاً عــن منتهى سدرتنا
هــذه الأطـيــاب تــسْري إنما
هــي أطــيــاب ربــا جنَّتِنا
أنا مشكاة السرَى من كرمتي
عتٍقت هــالاتُ مشكاتي أنا
رنَّحتْنا مــن ذرانــا دوحــةٌ
طيرها الصدَّاحُ، من ورقائنا
نمنمتْ أردانَهــا مــن غيثنا
وانتشت بالفرع من أفيائنا

أبـصرتْ زرقـاؤُنـا ما لم تروا
وانحسرتم عن مدى زرقائنا
ومحـت أنـبـاؤُنـا أخباركم
ونمير الـصِّـدق مـن أنبائنا
خيلنا الخيل إذا ما أسرجتْ
وتـبـارت في ثـرى صحرائنا
غـرَّد النقع صهيلاً وانـبرت
بـالأراجـيـز ذُرا أصدائنا
وارتشفنا الشهد حُرّاً كُحِّلت
مقلتاه مـن هُـدى صهبائنا
قد علمنا أننا الرهطُ صفا
وردُنـا ينساح مـن أندائنا
كوننا المخضلُّ يحـدو ركبنا
وهو من فيض ندى وطْفائنا
نمتطي خطو سرانا وضحى الـ
فجر نجم لاح مـن لآلائنا
حَمَلَتْنا عيسُنا الـورْق إلى
هامة الـسـدرة مـن عليائنا
تلك مشكاة سقاها زيتنا
وهِي شيء الشَّيء من أشيائنا
ودحـونـا الأفـق ليلاً معتماً
يجتدي الجـذوة مـن ليلائنا
وانجلتْ آفاقنا عن ساطع
حـدَّث الآفـاقَ عن إسرائنا
نحن أسكَرْنا ضـواري دائنا
فـأتـى تـريـاقُـنـا مـن دائـنـا.

أحمد عمر شيخ

من مواليد عام 1966 .
حاصل على شهادة بكالوريوس اقتصاد وإدارة.
معد ومقدم برامج في التلفزة والإذاعة الأريتريتين.
صدر له:
حين لم يعد الغريب، شعر.
تفاصيل امرأة، شعر.
رقصة الطيور، شعر.
نوراي - الأشرعة ، وأحزان المطر، ثلاثية روائية.
الريح الحمراء، رواية.

أبو تمام والموبايل

طيفُ حبيبه
تسألني الشعر
يترقرق أولهُ فوق جبيني
بين صريف الأسلاكِ الشائكةِ
الصوتُ المولعُ
مبتورٌ آخره وفتوني
أفتشٍ عنها وجنوني
الهاتف مسكونُ اللهفةِ
يتهاوى الجسرُ حدوداً ملهمتي

البردُ القارسُ ناوش جلدي
يبستْ أوراقي
جواز مروري
صحبي ورفوف المعرفة الحيرى
طرائق نسل المحزونين يتامى
تتوزعهم دكنه هذي الألوان.

الأحمرُ والأصفرُ قاص
والداني الأزرق مفتتحَ الأكوانْ
أدوزنُ إيقاعي المجبول عليك
الجسدُ المحمول على جسديَ وطني
منْ شظف الذكرى
يَا حور العَين الداعجة
السُّمرة حين تسيل ردائي
ملمس بشرتك الناعسة
محبرتي السوداءَ تسافرُ
عبر شموع اللحن الذاوي والمجدافْ.

ما عدتُ أخافْ
الضوء بيارق منْ وهني
وهن الأحلاف
أقبع فوق فراشي والأشجانْ
أمرِّرُ باطن كفي اليسرى
أهيمُ
وينزلقُ الفستانْ
مَنْ قال الجوع بساطي والشهوة؟!

خطيئة جارتنا
حين تباغتها عيونُ الدارْ
في حلكةِ خلوتنا والجرذانْ
ترتعد الحُمَّى
فرائص حجرتها
المطر النازف في الوجدانْ
يتماوج نبض مسافاتي إليكِ
فدعيه
هاتفكَ الجوَّالْ
يسبحُ في ملكوت الله الشارح والإنسانْ
أحببت
(قوليها)
وهِمتُ
شَواهد قصص تُروى
الشجر النابه وَ (خديجه)
تحصي حبَّات الرَّمل
ينوءُ الصخرُ وهودَجها
يخطفها الولد الغاوي
إلى الوادي السفلي بلا استئذانْ.

توقفتُ كثيراً
عشقي وحنيني
ـ لا أحد..
غير الوحشة
سهدي ومجوني
روائح عطرٍ فاحتْ

حريرِ ملائتها
يراقصُ موج البحرِ
واللؤلؤ والمرجانْ
يا مدد الصوفي تناجي عظمة خالقها
رنينُ الجرس الصاخبِ حاصرني
والهاتف أصدق
مِنْ ألم فراق عشتُ
وعرفتُ.

أعلِّقُ أداري
عند سطوح الرغبة
في حبل ضياعي
أتمتمُ بالرقية
ألامِسها
الشعر سؤالٌ أجهله
يا امرأة أحببتُ
وأحببتُ
نذرتُ العمر لها
النقشُ المهورُ بخاتمها
أتأملها
والكبدُ الحرقة منْ فيض وساوسها
ترشقني بالقولَ الضافيَ ومِسمها
في قلبي المفطورَ يمورُ الصدُّ
تنبعِثُ ملامِحها
(علِمني الشعرَ..
..علمني)

تقولُ
وتنكشف الأهدابُ الغالية
إسم الله يباركها
ما لا أعلم تُخبرني
بجيبِ الشوقْ
فأقول:
ـ هيَ
مَنْ غير الجرح هيَ
الجيد الناصع شامتها
بحَّتْ حنجرتي
ـ يا أنتِ
تشتعلُ الرؤيا رؤى
العبقُ المبخرة النهدُ الطالعُ
مَنْ سطري / قافيتي / ودّي
أفترش الأرصفة على الصفحاتِ
طاولتي واللمه.

أراوحُ مقعدها المنبعج الخالي
وغفوتُ
كوخي وشتائي
والمصباح المتأرجح في العتمه
فنارِ البحر الهادر والضمَّه
الشعر فواتحُ ومتونُ
الدربِ السالك موزونْ
تتلألأ أشباح الفرقه
عذابُ الشجن القاتل والرحله

حاراتُ الوجد مآبُ
غيَّبها الزمن القاسي
والسعد شهابُ
ـ لا قنديل
المشجب والصحن المقلوب
قميص النوم الوردي العاري
الأحجية خرابُ
تختبئ الغرفُ الأسبابُ.

ورجعتُ
إليكِ رجعتُ
أمزِّقَ ألبوم الصور الكلمات
الأوتوجراف
بقاياها
يتكيءُ الراديو ويترثرُ
عن بنت غادرت الربع وغادرها
والحلم قبابُ
(مَنْ يرشدني؟).
سألتُ
معطوفُ الجلباب تصدى
حفيف الغصن الساهمْ
العفريتُ النائم تحت حذائي
يحاول إغرائي.

(ماي تمناي) *
أحتسي الشاي

ترمقني الطرقاتُ
أتمنطق شارعنا وبيتي
إلى (الحرية / كمبشتاتو) *
فتاة حلوه
ترشقني بزجاج (الكوكا) والإعلانْ
تنشطي نافذتي
يفحصني طبيب الأمصال المعطوبة
أقرفصُ عند الحاوي
ـ ومن أبوا..
يتوارى الأحبابُ
الجنّ المتربص في الظلمة خلف الأبوابْ
عرَّافة ساحتنا
يتلوى دخان ودخان.

الصحفُ الباهتة المعنى
النقد (المتمأسس) بين الأعمدة وجوربها
ملعونٌ هذا الغاربُ
والغيم دنان.

تسألني
أتدثر حجر الإسفلت ومعطفها
تجيل البصر الخائنَ
ترتعد النفس الفاجرة
كأسي
وأنا
تنسج مغزلها

عناق الأيدي والرعشه
والمصطبة القهوة
تسكب دفء منابتها
أترنحُ سكرا من حبِّي
فألبِّي
طيفٌ يعبرُ
والقدر المسنون حرابُ
جارية تطلق صرختها
يخيبُ الراوِي
تسألني الشعر وآمالي
تخبو مدنٌ
تتصدَع منْ فاقتها
السيف المثلوم الغاصب
أيعودِ الشرفِ المسلوب؟!
(أبو تمَّامُ) تكلَّمْ
الغالب عند العصر هو المغلوبْ
أتوضأ
خلف سياج الثكنات الحربية
والعجز ندوبْ
القمر المهجور السّمتِ
يتربع منتفخ الأورامْ
والذبذبة هوامْ
عالمها أحلامي
مواقد عشقي أوهامي
رجسٌ هذا الصدّ
والنسك مرامْ

هل باء الصادي بخيبته
والنبع ضريرْ؟!
الطيفُ الحارسُ بائسُ
والشفة الملتاعة والرجفه
تستلقي على كتفي الأيمنِ
فيغير الآخرُ
ووداعي
أبكي غربة أصقاعي
شراب الليمون الحامض وشراعي
شتات الأيام الصعبة
في بهو الله الجامع وصراعي
أدعوه
كي أخلع بردة هِذي اللغة المتكررة الإيقاعِ
أكسرُ عامود الشعر
أبدل أغنيتي
بالخصلات المنسابة بنعومه
نون النسوة ويراعي
شمسٌ تتنزل مِنْ علياء اللحن مخاضْ
تسألني:
؟
يجيبُ الوقتُ
قوارب صيد
تتبعثر أشيائيَ
(أمازلتَ تقول الشِّعرَ
تأكل لحم الضأن المشوي
تتباهى بالتخمه؟)
والبوح رياضْ.

يتسللُ صوتك منِّي
أحمل أوزاني بالكيلِ
وليلي
غريب القاصد والمقصود قصيدْ
الهجر وعيدْ.

تسألني:
عن (إلبسا) و (حماده) و (سعيدْ)
عن (الساردين)
و (الكنتاكي) *
أقولَ:
(المخبازه) * أهمْ.

عفواً سيدتي ذكراك
يأخذني الدفءُ إليك
فأقبِّل فاكِ

الهوة تزداد بروحي
فأصلي لأراكِ
سلاسل فتحَ الرحمن وغمدي
سيفي مسلوب الخاطر
ردي فاتنتي
يا للحظ العاثرْ
يهتز الغمرُ
والوتر الثائرْ
الخيل تسابق فارسها
والأفق وصيدْ.

أنادي
البحر الأحمر فيض المحرومينْ)
من (بدر الكبرى) و (عموريَّه) إلى (حطِّينْ)
تسألني المغلولة
منْ صدف القيعان أسامرها
يَلتفُّ القوَمُ عمائمَ سودْ
(هذا شعرٌ لا نفهمه
فلمَ يا "ابن الطائي"
الَطلسمُ حيرنا)
النفس البشرية يا هذا الرهط
عناقيد ملهمة
لا يعلمها سوى باريها
لا العبد المسكينْ
غوصوا في الحرفِ ملياً
فالجهل ضياعْ.

أهدهد أحزاني
يرمقني القط وشيطاني
يفرُّ إلى قصعته اللبنيه
بستاني شفتيهاَ
حدائي البنتُ الجنيَّه
أركض وسنيني
أسقط في بئري ووتيني

أسألها:
-؟!
- إريتريَّه
تبسمُ لي
ما ملكتْ أيماني ونسائي
أهبط منْ عليائي
طائرهاَ يسلمني إلى السبي
لا غالب إلا الكتب الجوفاءْ
والمجد المنهوبْ
الرب هو الحاكمْ
والشرف المقدام دفوفْ
الرقصُ الهادفُ و(الستلايتْ)
الشّعر الغجري الملفوفْ
عرفناه
(وامعتصماه)
تحت إطار (الكاد يلاكْ)
والحجر الطفل (فلسطينْ)
نرمي صوب مجنزرة
والشجب حروفِ
مؤتمر الخيبة ينعقدُ
والأمّ المسكينة ترتق حبل مخيمها بالخوفْ.

تسألني الشّعرَ
يمتدّ بحبيي
يطاول همَّ المكلومين وهمِّي
ينفرط العقدُ
تُشقّ صفوفُ وصفوفْ

حدِّثنا عن الفخر
وقلاع العزّ
تجاوزْ قافلة الديجورْ
فاللحن ذرورْ
طوابير الفقراء الجوعى
عروبة أنسابي
العُجمة وبياني المسحورْ.

ينتقلُ نسيبي
منْ (دعدُ)
إلَى (ستلِ) و (بخيته)
منْ (هندَ) إلى (أرهيتْ)
فَتكلَّمْ
يأكلني البردُ
فداحة ظلم ذوي القربى
و(الشاورما) حلال
(عصيدة) أهلي
صوتُ (بلالِ)
جنوبٌ يمتدُّ إلى ذكر العرب النجبِ.

وها.. عدتُ
طاوي البطن ومعدمْ
الوصل هباءْ

النجمُ الثاقبُ يتردَّى فوق إنائي
الملمُ أشلائي

يهربُ (لوركا) إلى (هوليوودْ)
و (المتنبي) و (درويشْ)
يفترشانِ النغم العذبَ
في عمق الأخدود
أرفع يدك العسراءَ عن (الريموتْ)
لا وقت سوى (الرابْ)
حمائم قصر الحسناء الحبشيَّه
قصص الحبِّ البلهاءْ
هذي لغتي
متْ منْ غيظك يا (أحمدْ)
وأشربَ من ماء الورد سرابْ
شاشة هذي الدنيا / التلفازْ
والعيش مجازْ
يكفيك زيارتنا والجمهورْ
فالشعر خروجٌ متجدِّدْ
وتمرَّدْ
لتصهل خيلكَ في الأوراقْ
سئمنا الوعد الكاذبْ
والصحف اليومية
(أبو تمام) تنهَدْ.

تسألني البنتْ:
ـ أتهوى الإنترنتْ
(الموبايل) يهذي مقطوع الأسلاكْ
أجيبُ:
ـ نعمْ.

يتدلّى وجهك والشبَّاكْ
العالم يهرب صوب القاعْ
لا بأس إذنْ
الشعرُ هو الإنسانْ.

تسألني العنوانْ
تفرُّحصوني إليها والنبراتْ
أقضمُ قطعة (هامبورجر)
أتمشّى فوق الأسلاك
وأقول:
ـ أحبُّك
ـ هل هَذا جوابْ ؟!.

يرنُّ الهاتفُ مفؤوداً
أغفو عند عقارب ساعتها
والحبُّ هلاك

أقولُ
ويهزمني النسيانْ.

هوامش:

* ماي تمناي: من أحياء العاصمة الإريترية أسمرا.

* الحرية / كمبشتاتو: من أحياء العاصمة الإريترية أسمرا.

* الكتتاكي: من الوجبات العصرية السريعة.

* المخبازة: وجبة شعبية إرترية (من الموز والفطائر).

عدوليس
معلقة الأحباش

إلى

فاروق شوشه

جواب من لا جواب له

وقوفا بها صحبي عليَّ مطيهم
يقولون لا تهلك أسىً وتجلدِ
عدوليةٌ أو مِنْ سفينُ ابن يامن
يجورُ بها الملاحُ طوراً ويهتدي.
طرفة بن العبد

المركب الجامحْ
في عالي القمَّه
الموج و النسمه
في رجفة الوجدانْ
خلي الجوى تحنانْ
يشفى العليل همَّه
وعوارض الإمكانْ
يا بنيَّه يا حلوه

تناسل القمر والشحوب اكتسى جوانب السفح الراقد.
جاءتْ سلالاتُ الليل والوجع والفقر تنزُّ عند أبواب الفجيعة.
انتصبتْ مقاصلُ الفراق تدبُّ على نمِل الطرقاتِ، والحاكي يقرفصُ في أسف كظيم
نفضتُ عن كاهلي رملَ المُني وشققتُ رجليَّ وباطن كفي اليسرى، كي تلوِّح بالوداعِ الأخيرْ

مـضى الفنارُ داخـلي أيقونة عذبـة، نصبها الأجـدادُ على رمح البلاد الضائعة.
قـال الولـدُ أنَّ الظلام سرق منـه خليلته زينـب التي ضفرتْ حناءهـا مِـنْ كحـل الحكايـات، والبنـات يتحلقـنَ حـول الحاسـوبَ، عند بئر القرية التي دَرَستْ معالمها منذ ألفي سنة أو يزيدْ.
حـين غادرها الـورع وامتلأتْ سـلالمها الكهربائيـة بالذئاب المسكونة بالشبق العنيدْ.
تعامـدت الشـمسُ العظيمة واقفة وضمَّـدتْ جرح (إدريس حامد) وهو يشرع في تلاوة معلقته والنشيدْ:

طللْ

توافدت السوائمُ واستفاق المشهدُ
الربـعُ ثـاوٍ والمجامِـعُ مـوردُ
ولبانـة المفـؤود أشـياءٌ بهـا
يتشـدَّقُ الرائـي، ويدنـو الموعدُ
وعرائـس البهـو السـعيد والـه
وَحَـي النبـي.. والمسـافةُ هُدْهُدُ
طيـفُ المليكـة يحتمـي بجـواره
والجـن مملـوكٌ لـه والفرقـدُ
السـدُّ يهـوي في سـيولِ رجائها
والقولُ ظعنٌ والطرائقُ عسجدُ
نـورٌ علـى نـورٍ يطـلُّ رواؤهـا
نستنشـقُ العطـر.. ولا نـتردَّدُ.

مِنْ غيهبِ الباب المعلَّق شرفتي
والهجرة الأولى بوادر طلَّتي
سيفُ الموالدِ والدفوفُ سباسبٌ
الساحُ ميدانٌ يطالعُ صفحتي.

فأودُّ تقبيل الخدود لأنها
مِنْ شرفة الحبِّ الجليلِ المبهمِ.

فترنَّمي
يا(عبلة) الإشراق
يا(سُعدى) و(ليلَى) والحسان
ترنَّمي.

وَتَرْ

ودِّعْ حبيبة إنَّ القولَ مكتملُ
مِنْ سالف العمر والأوزانُ مقتبلُ
هذي الشمائلُ معقودٌ نواصيها
على الأرائكِ، لحظ الزين مكتحلُ
ألِلمدائن ديباجٌ ومحبرةٌ
تهمي علينا، كما الإيقاعُ ينتقلُ
ودِّعْ سليمى، نادِ طيف مَنْ شردوا
والأحمرُ البحرُ مسبيٌّ ومشتعلُ
نمشي خفافاً على الرملِ البديعِ هُنا
فالشوقُ إنسانٌ، والأزهارُ، والقبَلُ
بوابة القرن البغيض رنتْ
يومي لنا الآتون والغادون والمِللُ

مِنْ رعشة الطللِ المنمَّق بالرَّدى
تجفو الدِّني.. ويمضي الحادبُ الوجلُ
وزِّع نسائك وأرقـد في محافلهمْ
يلقاك أفاكٌ موتور الدُّجي، ثمِلُ
كأنا غـداة الصبح حين تململوا
ومَنْ "يطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ".

رثاءْ

تـهـوي الـنـسـورُ عـلى عـظـيـم مقالها
تـتـنـصـتُ الـبيرقـاتُ مـنْ ثـقـب بها
في خيمةٍ تغتال حلكتها ووعـر جَبالها
يـتـمـدَّد الـشـسـع الـفـقـير كـحـالها
نـقـتـاتُ مِـنْ وجـعٍ بـلـيـدٍ نـالهَا.

عرائشْ الإسمنتْ

ظلال السعف مِنْ جمر الأضاحي
ولِيلُ الوترِ محلول الصباحِ
مـسـائـي لا أفـارقـهُ لمـامـا
وصحو المـوج مبتور النواحِ
هلالي.. نجمكِ البوح المعلى
مدائن مِـنْ تباريح الجـراحِ
أيا بنت المحبَّة هل تريني؟!
شموع المجد تاريخي/ جماحي

هو الإنسانُ مِنْ رملِ العوادي
شطايا الغاديات بلا رواحِ
سـماوي الـتـواجـد لا أبـالي
من الشفق المظلَّل بالأقاحي
أيا (شـامٌ) على كتفِ الصبايا
شفاه الغنج مهموز الرماحِ
عزائي من (سليمى) وهي تومي
إلى النهر العليل المستباح
سلامي للصحاب.. إليكِ نفسي
مقام مـوارد الأجـل المباح
ومجـزوءٌ من الشطر العذارى
على خرقٍ من الجسدِ البواح
شرائـعـكِ المفكَّكة المعاني
لوائح صيحة العصر السِّفاحِ
شراعٌ لا يهـادنـه سفـينٌ
غناءٌ شاسعٌ، والبون صاحِ
معلقةٌ مـن الشِّعرِ المُضاع
على ظهرِ الغمامات السِّحاحِ
وسُـكْـرٌ لا أبـادلـه بعزف
وشـدوٌ لا يلاقيه صداحي
سريـرٌ مِـنْ سواليف التشهِّي
يموسق في الشرايين انشراحي
كتاباتٌ مـن الـشـوق المثير
وقـوس النائم الملتاع راحي
شراراتُ الخفوت ضياعُ عِرْضٍ
وأجراس المدائن والضواحي

وهل نثري الطيوف تلال همس؟
ٌوهل وزني وقافيتي/ صِحاحي؟
من القصص المنمَّقة الجواري
على الخديـن أنـداء السماحِ
صعودي للجداول والسواقي
نزولي مِنْ عباءاتِ ارتياحي
إليكِ طهر أهـدابي وعجزي
وسفح أليم مشدود النواحي
شمائلك المربية لا تضاهي
وبطن العير مملوء القداحِ
شرافـات المدائح نكثُ عهد
وأمجـاد الهـواتـف والمناحي
أأصـداء المعذَّب بالتشفي ؟!
وركنٌ في الحجيرة، بهو ساحي
أشاهد لوحة الأمس الشتيت
عَلى عصبِ المتاهةِ والرِّياحِ
شمالكِ فاتنٌ واللحظ مُشرق
ودمع العين للوجه اجتراحي
كلانا موعد الأجـل المـدلى
وفي العينين سهدي واندياحي
مصابيح المسافة والتجني
صحائف منْ تلافيفِ الوشاحِ
دروبي لا تجاعيد الصحاري
وبحري ثابتٌ والقيظ ماحي
سلاسل ظلمة والنهر جاف
وّخيط الهـمِّ مفطور النواحِ

حــروبٌ والتماعات الطريق
شوَاهدخندقي/ عزمي/ سلاحي
شقاءُ الهائمين وفي الفيافي
حــروفٌ لا يبلِّلها مزاحي
أحبُّكِ سعفة الوجل المُـرابي
فعولن فاعل الفعل النجاحِ
ردَّدتـــكِ يا حبيبة غير مرَّه
فكنتِ الـودَّ مشمول الجناحِ
رجائي يا هضاب الروح ثوري
وعــودي ربَّـما يدنو فلاحي
طلول المهدِ في التحنان رفضٌ
وشمسُ الرفض ياروضي انفتاحي
شروح الغابِ في الصدر فتونٌ
خيام البوح يا زهر البطاحِ
أحبُّكِ يا مُنى فكري وظنِّي
وفيكِ ينتهي قيدي / سراحي
مسائي لا أبـارحـه سـواكِ
ومَـن لـولاكِ يا ستَّ المِـلاحِ
فصائل جندكِ الوطن الشريد
وضوء الجمر مِنْ سمر الوضاحِ
نهــارٌ في الـدُّجـي يـأتي لماماً
وليلٌ يمتطي رجع الصباحِ.

زحافْ

الصوتُ أصواتٌ تلفُّ عمامتي
فتتيه أحلامي على درج اللقاءْ

تجابهُ أوكار الضغائن والنوى
يؤوبُ إليها الغرُّ أنّى تولتِ

فالعمرُ موصولٌ بها
والبيرق النائي حسيرْ
يمنح الضوءَ رجاءْ
سأمزق المتن الأثيرْ
وادوزن العجز الخواءْ
ودعْ
فهذا الركب يا (أعشى) ضريرْ
وعلائق العرب المساكين
على الجزرِ الهواءْ
حيرى
استباحوا السمع منْ ثقبِ السماءْ
والرجوم العاتياتْ
تدك أذان الخليقة.

لا حقيقة
سوى الشموخْ
(عنتره الشبل الوليدْ)
والنشيدْ

عير أنجمنا المطهَّمة الخيولْ
والتماعات الأفول
والنهود الكاشفاتِ الصدرْ
والصدف الحلول
منْ (طرفة العبد) الحزينْ
إلى (امرئ القيسِ) المعبأ
في أضابير المجون
و(إبن كلثوم) المجافي
والمنافي
والصعاليك (الحُطيئه)
سلالة القول المباهي
لا سكونْ.

الصوتُ أصواتٌ
تجاهر في دمي الملقى على الحاكي
ويشربها الوتينْ
قوافل التيه الخروجْ
منْ جموع العابرينْ
لَفائف التبغ الرخيصة
والسعال
قصائد الجوع الحميمة
والبغايا الخضر حدَّ الامتثالْ
نقعي على ورق الرصيفْ
والعناوين الكبيرة
والصغيرة
والزوال.

الخوارج صادروا النبضَ
في التواريخ الظنونْ
رباهُ آبائي رموني
في هزيم البائسينْ
ضمُّوا الجذوع
وأرتووا
نبع التودد والحنينْ.

من لإسفلت الشوارع
والمصابيح الحداثة
واختراق السائد الممجوج
واللغة الجديدة
والشواهد
والمحجَّة
والسنينْ
مطرٌ من اللازورد يهطلُ
خلف سور الأكرمينْ
والسلالات الجحيمْ
عهد (نيرودا) و(حكمتْ)
وانطفاءات المرايا
في سرير العاشقينْ
وابن هذي الأرض (بوشكين) المدللْ
وهو يخطرُ في بِلاط المترفينْ
وارتياب الشك
والبوح الضنينْ
جوابهم صمتي

وصمتي رجسهمْ
والقرن مأفونٌ لعينْ
(يا ديارٍ السالكينْ)
دربنا مكه / الحجازْ
والطوافْ
والحجيج والمجازْ
(دربنا أقصى اليمينْ)
والهدى نهر الولوجْ
في رياض الصالحينْ
الصلاة على النبي
يا رصاص الفاتحينْ

أطلقْ يديكْ
هذاَ أنينْ.

نافذة

مضى الأثر مخترقاً حجب المهالكْ
قرفصتْ تحتمي بالصخر، تلفها أصابع الهجر وقسوة البعادْ
أحتوت نافذتها والجدار واستكانت على الوسادة، تهدهدُ
موج الدواخل.

مرسى

تصحو.. تفتشُ ظلَّها
يبدو المدى نقشاً محاه الغيبُ والتذكارُ
حمحمة الخيول / الأهل

والرؤيا شقاءٌ آدميٌ على الجسد الفنارْ
هذا (بلال) المشترى
يباع في سوق المهانة والشعارْ
أسفي عليه
عليهمو
صراخهم يعلو
وحقي ضائعٌ
أنا الساعي
وصاحب الأرزاق
يدري جهلنا
لا شيء نعلنه هنا
على الطرقات والمعنى
والمجاديف سوارْ
"يا عمنا شوشه" المعمَّم باللغه
الوشائج ترتجي الوصل
سوى العجمه
ولكنا أضعنا موعد العصرَ
وقد عنَّ المسارْ
كي نبدل الضادَ بدال حرَّةٍ
حرارة الكلمات والإيقَّاعِ
والوزن المسافر
في السياق الجاهز الآن على كف الفرارْ
و(الخليل) المبتلى
بالزحافات العليلة
يا معلقتي اليتيمه

لا ستار
نعلق الحزنَ علِيه
نرتدي الأسمال
والنظم الهزيل
والقيود السود
من عجز المآل
قفرٌ يناجيه الصدى
والعواصف والغبارْ
والحيُّ موتور الخطى
والحلم يا عمري بوارْ
يهوي على صدر الكمونْ

ولا نهارْ
....
لا نهارْ

....
"عدولية أو من سفين ابن يامن".

رسمٌ محاهُ اللونُ
واللؤلؤ المكنونْ
...
جمَّعهُ المحارْ

....

هامش:
عَدوليسْ: ميناء تاريخي أسسه (بطليموس الثاني) على البحر الأحمر في القرن الثالث قبل الميلاد، وتقوم على أنقاضه اليوم بلدة (زولا)، وتبعد عن (مصوع) حوالي 04 كلم جنوبا، وتعني (عدوليسْ) عَدْ ولي على لسان أهالي المنطقة، أي: بلد الولي.

عبد الحكيم محمود الشيخ

توفي عام 1967.
إعلامي.
نشر عدد من أعماله بالصحف المحلية والعربية.

المرايا والحكايا وانبعاث الزعفران

مسكون بجفاء الرغبة
اشتاقك مختارا
والرؤية تختار الألوان البدوية
متكأ منهارا
والروعة في روعتها تتدثرُ
بالماء الآخذ في استمنائي
وفحيح الأوزار المستوطن في ذاتي
يتماوج خلف النافذة
يؤنسن عشقي / يقصد رشقي
يربك كل تفاصيل حبيبتك المائية يا زمني
زمن الشعر أشاح بوجه النهر
تموضع فيض مرايا
أودع سرر المعدن آيه
أزاول مهد العشق حكاية

يسقط وجهي سحباً دفلى
رهط حفاة فلاحين
بقايا شجرٍ أيقظ فينا بوح الثورة بالإمكان
وبوناً كاد
وعاد
وشاد حنينا ألبَ عشقي ضد مروجي
شرخ شخوصي لغةً تعزف عينا
ولداً يترقبُ إيماضٍ سراويل القمح
يهمهم بالسرو نشيدا
نكدا يتدلى من بين أغصان
وتهزمه سوسنة في الحقل
نتداحُ بأوردة الليمون حنايا
ماذا "فيني" خلف عيوني؟؟!
أقوى لغة تكشح فعل الحب
وترشح حتى يندى قلب القلب
ماذا عني قبل جنوني
أسوى حبة عدس طفحت
تُرضعُ ألف جريح
ألف قتيل.

أهوى امرأة كنت أراوح
"بين هروبي منها والخفقان"
صرتُ أصرخ أني
لن أتنازل عن أيامي القادمة
لو طلقني الشعر
وطلقتُ الكلمات

لن أتنازل حتى
لن أتنازل عنها.

يا امرأتي الواضحة البسمات
الفاضحة القسمات
تدوير القول
هدير البحر
تناغم أشلاء الشهداء.

شهيق

آه يا جمر التروي والوصول
أبجديتنا تفاصيل المعارك
واقتحام مدينة أخرى
وجبهات جديدة.

2
ألف ونون خلف قافيتي
لعل الروعة السمراء
تودي بالقصيدة يا رفيق
سمائي تنتهي بعلاقة مني
ومن زبد الشروق
لا رسم في ترانيم المرايا
من أفولي فروة زرقاء
حتى أستفيق.

3

انتمي لقصيدة أخرى
لأيام القرنفلة والأسماء الجديدة
انتهي لبعيدة، أجري
لأنهار وسنبلة وأرقام عديدة
ارتمي لعنيدة اثري
لأسمال وقنبلة وأحلام سعيدة
أيها الآتون من نصف التهجي والعبور
هذه اللقيا تراتيل وبعض حكايتي قبلة.

4

ساهم مثل آخر طلقة
يستعيد المسافات والحقب السالفة
يستزيد بحبة قمح وتاريخ أغنية عاطفية
تستحم على أفق الطلقات ورشق الحبيبة سنبلة قروية
اسم "ساوا" تمتطي رمالا من المطر الساحلي
يهدهد طفل الشواطئ بالبحر والزنبقات الطوال
تعالوا نهادن موج التمني
ونكتب أنشودة للعناق نغني
بالزند نبني
مساحات شعر من البحر والانتماء
اسم "آدال" مال احتواني تجاويف مسبية في الغمام
مجاديف قنبلة في هوي الرائعات.

5
بائعات السندس البحري والعبق المغاير
استوينا علي الحريق وأوراق المطر الطريق
سوسنات المحفل القمري الشبق الدفاتر
انزوينا على المضيق وأيقظ المدن الشهيق.

صنوك البحر

في البدء كان الشعر
يا أيها الساكن فينا
أيها القابع في أعلى أمانينا .. سميتك الوطن المدينة.

2
هذا الشارع يفتح في أسئلة وأزقة
قلت أغسل وجهي - قبلت وجه الشهيد
جئت أرثي أمي - أرخت أم الشهيد.
غادرني الصمت والرفقة
صوت أم الشهيد
يقاسمني العوز والأرصفة..
أيا هذا المطر على شارع الشهداء أسقني من رحيق المصلين
والبارحة دقت الساعة البارعة
وجه أم الشهيد
يعد الحليب وشرفته للسنين التي سوف تأتى غناء.

3
أراك على سكة القادمين زنادا
وفي حيرة الراحلين عباءة
اشيلك زادا على مهجتي "خبر نقفة" تباشير قرمزية
وكل السنين التي فجرت غيمها مطرا أبديا
ورغم فداحة الليمون في شعري
ومثل مساحة التعقيب في الرؤيا
وأرجاء التضاريس الجميلة...
صار هذا النصر عنوانا لتاريخ القبيلة، واستعاد الوجود ذكرى رياح الخميلة.

4
سمقت في العبور
أم هذا الشهيد الجسور
رقص يا جديلتها اليوم، فارعة
صنوك البحر أحمر.. والمهر أكبر
شدي على وتر الانتماء الصبايا
ومدي الفراشات للأفق إسورة ومروج .. مرايا
لأشهد أن الصباح تراوح منك ولاح .. واني أسبر فيك حقول البراح
وأعلن:
"أن لا عباب سوى الأم.. والحاكمية للشهداء.

أحمد محمد سعد

من مواليد عام 1945.
توفي عام 1978 بليبيا.
مسرحي.
بكالوريوس في الزراعة من جامعة القاهرة.
صدر له:
عاشق أرتيريا، شعر.
رياح الفجر، مسرحية.

سلام المهاجر

ومر القطار السريع
يشق الفضاء الطويل
وكانت ثلوج الشتاء
كقيد ثقيل
ثقيل
وصحت وحيدا:
سلامي إليك
سلامي إليك
بلاد الصحاري
وشمس الأصيل
حنيني إليك
بلاد البراري وسحر النخيل.

ومر القطار السريع
يشق الفضاء الطويل
ودودي الضجيج المهيب
يشق العنان الرحيب
وصحت وحيدا:
سلامي إليك
بلاد الليالي وشوق النضال

بلاد الأماني ودرب الرجال
سلامي إليك
سلامي إليك
سلامي إليك.

الهوية

من أجل من ذاق الضنا
من أجل من عشق السنا
من أجل أطفال لنا
قد شردوا خلف العراء
من أجل من شقوا الطريق وشيدوا
فجر الملاحم والفداء
من أجل من سكبوا الدماء رخيصة
عبر المدي
سأظل أرفع رايتي.

إني أريد
هويتي
حريتي
جنسيتي
يا أخوتي
ما زلت أسمع صوتكم متناغما في داخلي
ما زلت أسمع نبضكم
لحنا يعانق خافقي وسنابلي
ما زال يجرفني الحنين لقربكم
صار الحنين مشاعلي
فليسقط البؤس الذي
سحق الجموع مدي السنين
لن تحبس الجدران نور قضيتي
لا لن أهاب من الطغاة الغاصبين
بعطاء ثورتي/ المجيدة دائما
سأحطم الأغلال والسجن المهين.

(القصة)

عبد القادر حكيم

من مواليد عام 1969.
عمل معلما بالمدارس الاريترية.
يقيم حاليا بالمملكة العربية السعودية.
نشر عدد من قصصه القصيرة بصحيفة: أرتيريا الحديثة، وصحف سودانية وعربية.

دوزنة في شقوق الطين

إلى فاطمة في احتشادها فيَّ

البنت التي هطلت بغتة على مفازة وجوده / العدم، كانت قادمة لتوّها من (كسلا) *، وكانت لا تزال تحمل من قيظ تلك المدينة الجميلة حرارة الانتماء.
البنت الحلوة إذ تتماهى على شوارع قريته / اليباب كانت تربك تفاصيله الواهنة وتشتّت تماسكه الخلبي، المخاتل.. فيزدرد صمته في غباء، ويجثو على فوح طيفها في الظل يبكي. بدت له دافئة، وناعمة الدفء يحتاجه كمضاد للرطوبة والبلل، يتصاعدان إليه في صباحات قريته الباردة. النعومة يحتاجها كي تمحو عنه الصدأ يهاجم شبكية عينيه منطلقا من سقوف المنازل، وأبواب الحوانيت المكدّسة بالكساد، وسيارات النقل التي يستوي على متنها الإنسان، وقمح الإغاثة، والماعز،

والدجاج الأسود، وحاويات الكيروسين!!
البنت الحلوة عرفته دونما عناء، إذ كانت طريقته في المشي تشبه طريقتها في ارتداء ثوبها.
ـ فاطمة
ـ عمّار.
لطّخت قامته المديدة بنظرة عتاب، إذ بدا لها متعجّلاً..
ـ الشقوق التي في طين ذاكرتي هي التي تدعوكِ، كي تلتئم بروحك الحلوة، وتصدح بالياسمين، والأطفالَ، والخضرة المطلقة.
ـ شاعر؟.
ـ كنتُ..
ـ الشاعر لا يموت فيه الإحساس.
الشخص الذي ككيس سماد في حديقة مهملة، صار الآن ـ بُعيد انبثاقها فيه، فاطمة ـ، يؤول إلى شيء باهت. يتقاطع دبيب تيهه الغامق مع مسارب الفرح في حضورها المزركش بالصفاء.. يهجر الظل، ولا يدخّن بشراهة. يحلق ذقنه الكثّة. يشذب شاربه. يتأنق ويكتب شعرا.
فاطمة
يا أنت
يا صنَوبرة من نورْ
تبسمين
يخبو وميضُ الهلام
ينفض عنّي الشتاءً
يخرج للعالم / لها.. مزهواً كطفل يلهو بلعبة من صنعه. يتحاشى المرور في الشوارع المضاءة بالنيون كي لا تصيب

دهشـة الناس إيقاع خطواتـه الراقصة بالنشـاز. يصفّر. يرتّل لحناً حميماً:
(أنا وأنت
يوولاليي
سالس ربّى
يووَلالينا)*
جـاءه أوّلاً عطرهـا.. فـاح فيه.. ثم كأنّها خرجـت من الهواء، أو انقشـعت عنها سـحابة، رآها على شفا خطوته، التي زادها الفوح اتساقاً..
ـ خشيتُ أن تملّ انتظاري.
ـ ما أحلى انتظارك!
عـبرا دائرة الضوء التي تتحـاف في حميمية مع الظلام الخفيف خـارج القريـة. كان هو يعبث بمفاتيح غرفتـه، وهي تطقطق أصابعها.. وعلى دفء صخرة مستوية كسرير جلسا، واتحدت عناصرهما، تماما.
لّما رأتـه ذات طنين في سـوق القرية حاملاً على ظهـره حقيبة كبيرة، أندلق توجّسها فاقعاً:
ـ هل تنوى سفراً بعيداً؟.
ـ بعيداً.. بعيداً.. قال..
قفز على وجهها امتعاض كثيف، ولوّنه بلوعة داكنة.. قال ولم تترنح كلماته تلقاء عينيها إذ رأى فيهما يقيناً راسخاً:
ـ إنّـما.. مطيتـي عيناك، وصوتـك الفـيروزي زادي، وغايتي دواخلـك، أجهـا، فتَمـدني بالأمـاني الحاشـدة.. وفضائـي الأماكن كَلها، حتى تلك التي تشتكي زنابيرها قلة الطين.
ابتسمت، وعاد يقينها أكثر رسوخاً. برشاقة أنكرها الشخص

السمادي تناول حقيبته من على ظهره، وأخرج دفتراً.. احتضنت شعره... مضتْ، ولم تقل وداعاً.

حلحل - ديسمبر 1999

....

هامش:

* كسلا: مدينة سودانية.

* أهزوجة شعبية بلغة التجري.

طنين الأسئلة

غامقاً، كظهيرة ترتل المطر، أمشي في حدائق صوتك، وتضوعين .. من ذا يتراكض اللحظة على شِوارع حنجرتك غير أطفال رياضك في صعودهم الحاشد إلي / فيك؟.

وعنيفا، كاصطفاق باب في ذاكرة الرماد، أتلاطم والدهشة، إذ تعتريني القصيدة برهة ثم تخبو برهة أخرى، أجيئك مؤتزرا غيابي البهي.. تنبثق في غابة من شجن حميم، ويضيق بي قبوي فأخرج.

ألج برد المدينة الصباحي، ويتفتت من حولي هسيس هلام، أطفو على (كمشتاتو)*.. أبصارهم شاخصة للبعيد، تنقذف كلماتهم إلى دواخلهم واهنة، يحيون بعضهم برفع الأكف، والانحناء، وابتسامات باهتة:

- بونجورنو..

- بونجورنو..

سائق (التاكسي) يتأملني ملياً بصلف داكن، يسراه على المقود، يمناه يستاك بها غير آبه لبلعه ريقه ونتف المسواك.. يبدي امتعاضه من (تقرينيتي) الركيكة.. أأمره بالتوقف وأصفع وهمه بباب سيارته المتهالكة. أتكور.. اقذفني إلى

شارع جانبي، أتدحرج، أطفو كفقاعة يفجؤها سيل صبي.
تقذفني المدينة إلى مرسم صديقي.. يحييني بابتسامة حقيقية ويعود للرسم. الموسيقي المنبعثة من الجهاز لا تتناسب والإيقاع الصاخب على لوحته التي يعمل عليها. أصب كأسا من «الجين» وأجلس إلى بومة يتآكلها الحنين.. تهامسني، تشاطرني شيئا من حزن شفيف. أحس حدقتي عينيها تتسعان. شجرة التبلدي تحت مخالبها كأنها ترفض لأنينها الملثوم بسيف الوتر بغتة.. وتنسل عن حدقتيها دوائر تسبح في فضاء اللوحة، وتستقر في خلفيتها القرمزية. أتابع رحلة الشراب القوي إلى يبابي المنهك بالغربة تتمطى الأشياء.. تتلوى.. تتحلزن.. يبين سطوعها الراسخ بين الشقوق التي تتمدد، الآخذة الآن في التخودد العميق.. نصفها ظل لذاكرة تتشظى بالأسئلة، نصفها قمرٌ راحل لن يعود أبدا. أتشقق، أدلف إلى شلوا.. وإذ أحاول تجميعي لا أجدني!!
أدخل في العلاقة بين رحيله وهذا الطنين.. لم يكمل قصيدته، حتى ودعته الحانات جميعها، وأولاد النهارات الناصلة، والغمام الذي لطالما تشظى على قامته المديدة. أصب كأسا وأحرضني على التماسك يرن صوتها في، يرجني رجا. من الشمال البعيد ينساب إلى مسامعي الصدئة، مشتاقة تسأل عن أحوالي أنا الذي لا يسأل عنيَ أحدا! خارج هذا السجن الكبير نسيا منسيا.
«لكم كنت عصياً على المحو يا صديقي.. ترحل هكذا مختنقاً بعقم المدينة / عهرها، وناسها الأدعياء يدك الكبيرة تلك، تبسطها مصافحا الجميع، محتضنا من تخص بعينيك اللتين يشرئب فيهما شموخ تراث زاخر بالكبرياء، مانحا الحياة ضياء ابتسامتك، طاعنا في عميق الرميم».

تحرَكُ البومة جناحيها، ويومض في عينيها ألق غامض. ترفض التبَلدية وتساقط عنها بعض وريقاتها الذابلة، الدوائر هناك في خلفية اللوحة تتماهى هنيهة وتؤول إلى سراب من عصافير جنَة جنَة !!، تتجمع عند نقطة يتحاف فيها القرمزي مع أسود متواطئ بالضوء.

تبدأ العصافير هجرتها إلى جهات شتى.. كلَما نأت كلما ضاق إنسان عيني، كلما نأت كلما ضقتُ ذرعاً واتسعت العبارة..

هل حقاً أنسرب صوتها إلى سراديبي، التطمر هفهفة شعرها الآبق، إذ تجيئني كانت طالعة من نافورة ضوء يضوع، نتخاصر حتى حدود العتمة، نتخاصم حيناً / نتناجى حيناً من شهيق، نتلاحم كأرض وبذرة يباغتها النثيث.. كيف السبيل إلينا؟؟

نظرتُ إلى حيث البومة، لم تكن هناك. حدقتُ كانت تحلق بنشوة زاهية إلى جهة قصية. في مكان ما في اللوحة تسلل لون (بادوبيَ)* إلى التبلدية.. صارت كالحة كأسطح بنايات هذه المدينة المكابرة.

«في بلد كبا فيه الزمان، كيف تسنى لك الحب ونخلتك السامقة، القادمة من أقاصي الصعيد إلى أقاصي السديم؟.. كيف فعلتما الفرح دون أن تمتد إلى حبكما أعناق ذا الخراب المرن؟!!... أين ذهبت خطواتكما الوئيدة، كلمات أيديكما إذ تتشابكا خلسة، قهقهاتكما، جلساتكما في الأصائل تتلوان البنفسج».

أصبُ ما تبقى من القنينة في كأسي، وأدفع به الداخل المَوار بالأسى، المرقط بالهزائم، المستباح أبداً. أحاول استعادة الصوت (الأوبرالي).. يتداخل في اللوحات المبعثرة في غير ما ترتيب، والموسيقى الحالمة في الجهاز، وأنين التبلدية في، ززائح خلاسية تتأرجح في أرجاء المرسم. أخرج.

في مركز للاتصالات ـ هو الوحيد بالمدينة ـ، بذلت ما استطعت لجعل انجليزيتي متماسكة. الموظفة استقبلتني بامتنان لكوني أتحُت لها استعراض إنجليزيتها، لكنها لم تنجح في إيصالي بالشمال البعيد (لرداءة الطقس.. كما قالت).

خرجتُ في طريقي إلى قبوي، تحت أضواء المصابيح الشاحبة.. يتوافد القوم، جماعات، من كل ناحية، كأشباح يمرقون من كوى سحيقة في جدر الوهم، يمضون عجلى دون ضجيج، يحيون بعضهم بحركة مقتضبة للرأس إلى أسفل.

مومس عجفاء ترفع عقيرتها بالغناء، يتجاوب معها قوَادٌ مقعد يمشي على ركبتيه المربوطتين بخرق وأسمال سميكة.. قوَاد آخر يطلق ريحاً لها رنين.. أعبر إلى الرصيف الآخر وأطفو، بيد أني أحلم بصباحات دافئة، هناك، قاب قبلتين أو...

....

هوامش:

* كميشتاتو: الشارع الرئيسي في العاصمة الاريترية اسمرا.

* تقرنيا: من قترنيا وهي لغة سامية، تشكل مع العربية إحدى اللغتين الرسميتين في أرتيريا.

* بادوبي: نسبة إلى بادوب، مفردة عامية تعني السهل الطيني المنبسط في مناطق الزراعة المطرية في أرتيريا والسودان.

نهار قائظ، صباح ناعم

عيناها واسعتان.. تتيحان للأخضر فيها أن يتماهي في لونيهما، ولجنوني بحراً لا يحد!. طفقتُ إلي حضورها الأنيق وموسيقى

انبثاقاتها المتهاطلة، يشجعني على ذلك خلو المكان من رواده، وانقطاع التيار الكهربائي عن جهاز التسجيل في ذلك النهار القائظ!

بدرجة أغمق دنو موعدها..

اهتزازات (البوكسي) تحسر الخمار عن ضفائرها الطويلة، وتجعلها أكثر التصاقاً بك. يستفز ذلك يبابك، فتفكر:

ـ أن ماذا لو !..

سينهالون عليك ضرباً، ولكماً، وسباً مقزعاً.. لا يهم ذلك. حدسك يومئ لك بأنها في اسوأ الفروض ستنتفش كقطة مدللة، وتقذفك.. بـ «يا ثقيل.. يا مجنون».

هذا هين، ستغني لها: (مجنون هواك أنا.. يا).

هذا أهون من أن تصفعك أمام حواس الرجال، جميعهم، مما يترتب معه ـ بالتأكيد ـ، رد فعل عنيف من جانبك، تفرضه عليك نظرات الاحتقار التي من المفترض أن تطفح على وجوههم المغبرة، المتغضنة، البالية. تصعده بداوتك الأصلية، الكامنة في أعماق ادعاءك التمدن والثقافة. تدغدغك الرغبة وتتناصل فيك، فتهرب ـ خشية تنفيذها ـ إلى الوادي تحتك.. ولأول مرة لا تحس بالخوف والدوار، ذينك الشبحين اللذين لازماك منذ صعودك الأول إلى الهضبة.

تخامرك نشوة كتلك التي تسربل عشقاً على شفا نشوة للمرة الثانية، فتوقن أنه الحب!

ـ غطي رأسك من الغبار.

تشكرك فينسرب من بين شفتيها صباح ناعم. تفر عني ابتسامة مبرقشة بالفرح.. النادل المسكينة تظن الابتسامة لها، فتبتسم لي.. فتبدوا أسنانها من خلال ابتسامتها كأسنان

مشـطيين متشـابكين. باعـةُ يعرضـون بضاعتهـم تحـت ظل شجرةِ (النيم) الضخمة العتيقة.. شارع هؤلاء الباعة سيفضي بها إلي. الشـوارع الثلاثة الأخـرى خالية إلا من بعض البشر. صبية يشـترون وقـوداً من عامـل (الطلمبة)، ونتـف متطاير تحركه ريح ضنينة تهب بين الفينة والأخرى.

تساعدها على الترول من (البوكسي).. يدك تسـند ساعدها. تدخلك لدونتها فتعشوشـب مسرابك القاحلة. تستعير ـ إلى حين ـ، خبراتك القديمة من مستودعها.. وتنظر إليها سمراء مفرحة، تحب الناس، والقبل المختلسة!. وتنظر إليها.. أسراب فراشـات ابتساماتها تحتشـد على وجهها، وتنطلق تتراقص في ضيـاء الضحى الضاحك. السـوق ينوء بخليـط من الناس.. أبنـاء بلـد، و(عقامي)*، وآخرون... تستـل هـي من حقيبة يدها منديلاً وتجلو عن وجهك الغبار.. يا الله!

تركض طفولتك الزاهية خلف (ترتارة)، خلف (لوري) مليء بالقـرع، وتجلب من البادوب (قرقورا) *، و(تبر)* تشـكله عقداً لعروس منتقاة.

مـن جهـة شـارع الباعة يقبل شـخصاً يمضـغ علـكاً بطريقة مقـززة، يتفحصني مليا ثم يجلـس، تلقاء منضدة، ويقطع على النادلة ذكرياتها.

لا يصيبنـي بأذى غير أنه يتف علكته ويخرج من جيب بنطاله الأصفر مسـواكا يستاك به.. يطلب شاي بالليمون، وأطلب (جن) بالليمون.

بتوجس طافح على وجهها تصب لي كأسي ثم تدبر. الشخص العلكي يعلق مسواكه فوق أذنه ويبدأ في ارتشاف الشاي قبل أن يمزج الليمون جيدا.

النصف الأعلى من الكوب يشبه سحابة تتشظى عناصرها. شجرة (النيم) تحركها الرياح. نساء يتشبثنا بمظلاتهن، وأخريات بفساتينهن. النتف يتطاير فوق شارع (الطلمبة).. أكياس نايلون، جرائد محلية، أعقاب سجائر، أوراق إعلانات البلدية، وحشرات واهنة.
النادلة تعود لذكرياتها المريرة.
يطلب العلكي شايا. تقوم النادلة متثاقلة، فينهرها.. تنقذف المسكينة خلف ماكينة الشاي تماماً. يتناول مسواكه ويبدأ في السواك. اكتشف أن للرجل سطوة من نوع خاص، فيطن صوته وصرير أسنانه النتنة في أذني، كما لو كان قادمين من قبو بعيد، رطب، لزج.
في اللقاء التالي تذهبان إلى السواقي.. تجلسان في ظلال أشجار المانجو.. تتكئ أنت على ساقي شجرة وتثني إحدى ركبتيك.. تجلس هي على عجيزتها، فاردة ساقها على العشب المبتل، مائلة نحوك.
تترنح كلماتك وأنت تسألها:
ـ ماذا لو كنت قبلتك على (البوكسي)؟.
تضج عيناها بالدهشة:
ـ كنت سأصفعك.
يهمس لها شوقك المشطور بالرغبة العارمة:
ـ والآن؟..
تضحك هي، تصهل عيناها:
ـ سأخبر أمي.
إذ ذاك تدخلها، تدخلك. أدلق ما تبقى من كأسي وأشير على النادلة أن تصب لي كأساً وتحضر قطع الليمون الصغيرة.

الباعـة يعرضـون بضاعتهـم ولا من مشـتري، وأنـا ما زلت أنتظر. مضت سـاعة وشـارع الباعة خالي إلا مـن قيظه. أنظر إلى أعلاه لا اثر لها.. دقتها في المواعيد تجعلني أشـك، أشـك. تسـوي شـعرها.. تعيد إليـه (بنسـاتها) المتناثرة في العشـب. تجمعه، وتلقي به خلف ظهرها، ثم تشـبكه بالنفسج، ويخرج صوتها مموسقاً:

ـ درجات البنفسج مريحة.

ـ البنفسج نقيع الحياة والموت معا... تجيبها

تقوم هي وتقف هناك.. نصفها في الشمس ونصفها في الظل. تأخـذ آلة التصوير وتلتقط صورتـك للذكرى في طريقكما إلى المحطة، تحدثك عن ابن عمها الملحاح، الذي ما ينفك يطلبها للزواج.

تنشـق فيك عوالم شـائكة.. تغرق في لجاجهـا.. إن هي غابت عنك، من ستحيل شتات أيامك بستانا مغرداً تسمع فيه فوح أحلامك متداخلا في أنداء الزهر.

مـن ستلج لجموحـك فيهـا، في نهـارك القائـظ، صباحاتهـا الناعمـة.. مـن غيرها ستشـعرك بالأمـان الحقيقـي إذ تفتح فرجة في أدغال جسدها، ثم تلجها كنهر صغير.

من ستقرأ لك أشعار: اليوت، نيرودا، لوركا.. ومن ستقنعك بجدوى المقاومة ؟!

تنتشلك من عالمك الملون بالهواجس:

ـ تسرح وأنا معك..

ـ أسرح وأنت في..

تضع ـ هي ـ في جيب بنطالك ورقة من فئة العشر (نقفات)*، ثـم تطوق بنصرك، بأفعى فضيـة، كانت ـ منذ حين ـ تتلوى

على بنصرها. وتمضي ساعة أخرى.. أوقن أنها لن تأتي.. أنظر إلى خاتمها في إصبعي، وإلى رنين كلماتها في.. هل سقط الظل الذي كنا نخشاه؟؟.

حلحل 1998

....

هوامش :

عقامي: إقليم في إثيوبيا ينزح ابناءه للعمل في اريتريا.

قرقور: القوقعة.

تبر: زهور برية بيضاء تنمو في السافانا الفقيرة.

نقفات: جمع نقفة وهي العملة الاريترية.

عبد الجليل سليمان عبي

مواليد عام 1969، شاعر وقاص وصحفي اريتري.
نشر عدد من أعماله في الصحف والدوريات وعلى مواقع الانترنيت.

الشتاء والرحيل

كانت أحلى البلحات في سبيطة المدينة، قابلتها والزمان مختل... كانت تعرف كيف تصنع الفرح، ابتسامتها تسلبك تجذر الأشياء في أعماقك السحيقة، حتى نظراتها بذات القدر من العمق (ليس العمق المجازي، عمق القاع إلى السطح).. دافقة في غير ابتذال، مدمنة للفرح.. ذات مساء.. وحين كانت تغني:

(آه بارنتو..
وآه من [عيون] الصبايا..
والقوام الأبنوسي..
وانسراب العشق في عمق النفوس..
وكؤوس الراح والعشق / التجني..

كان صوتها كما العشق / الهوس، ينسرب داخلي.. كنت أحس حينها بنفسي يتعالى.. شهيق فقط.. (هل جربتم أحادية التنفس) بدأت أذوب رويداً.. رويداً أتلاشى في ذبذبات

صوتها.. فأصير ذبذبة، وكنت عندما أتحول إلى ذبذبة من صوتها.. أردد، بصوت كورالي:
البنيات هنا حقاً صبايا..
والعيون الدعج تسري في الحنايا..
(قرع الطبل وغنى):
آه «بارنتو» جنان ناضرة
وصدور نافرات
وعيون جائعة
وكؤوس مترعات..
ورماح مشرعة..
فيأتيني صوتها تلك التي أربكتني حتى صرت لا أدري، هل أنا قادم أم رائح؟.. هل أمامي خلفي..؟ أم خلفي أمامي؟..
كان يأتيني ذلك الشجن الدافق مثلها..
والخلاخيل وجه ضاحكة..
وقلوب واجفات
وشفاه مطبقة..
ورجال كالأسود
وجلال.. و... و
وغبت بعدها اتحدت مع صوتها فصرنا واحداً.. كنت أصرخ مع صوتها فصرنا واحداً.. كنت أصرخ أهتف بالرغم من الوهن الراعف ومرارة النظر إلى واجهات المحلات الأنيقة..
(كانت بين الركام شمعة وزهرة)..
شارع (الكمبوشتاتو) يستفزني.. حاولت ذات مرة تهميشه فهاجمتني الشوراع الجانبية ـ هربت.

قالت فاطمة:

- إن أكثر ما يؤرقها هنا.. شكل المدينة الدائري، الشوارع الدائرية، الدائرة عندي تعني عدم الاستقامة، عدم الوضوح.. ضبابية الرؤى.. رمادية الأشياء.

رد عليها أحد زوار المدينة.. (المراهقون بها) بل حسناوات المدينة إقتحمتهن الدوائر لماذا أجسادهن ممتلئة بالدوائر.. عجبي (سلبتنا هذه المدينة).

أطلق عباراته وذهب.. بخطوات نصف مشلولة..

كنت حين يقتحمني صوت فاطمة.. أشعر بأنني ملاك منتقاة يتأرجح بين الصوت والصدى ونكهة الوحي.. وتداعي بقايا الروعة في تخوم الحياة..

كتب لي أخي ذات مرة، يعتذر عن عدم رده على رسائلي، قائلاً:

- بأن الكتابة عندي لها طقوس معينة فالكتابة شتاء عندي، ففي الشتاء كان ميلادي وفي الشتاء تلمست طريق المعرفة.. والشتاء عندي فترة إبداع تهب نسماته الباردة فأبحث عن دفء أجده في طفولتي وبداياتي الأبجدية.

ثم استطرد قائلاً:

- إنني أبحث عن الضوء وعن الأوراق التي ينتهي فيها المداد.. ولا تنتهي فيه.. عن نهضة الدواخل وإن كانت موشكة على الإختفاء..

نزفت حين قرأت عباراته.. هل هي دقيقة عبارات أخي أم صوت فاطمة؟.. ارتبطت حين خطر لي هذا السؤال.. والشتاء هو الشتاء.. وأنا ذبذبة من صوتها تتلاشى في نسماته الباردة..

ردت مقاطع لدرويش.. وأنا أتصبب خوفاً (من هذا البيان الشتوي/ الهاجس)
ماذا سأفعل بعد جسمك..
والشتاء هو الشتاء..
(عسل عنيف يرشد الأنثى إلى ذكر.. ويرشدني إلى عبث الكلام).
قلت إن فاطمة ستدفئ شتاء هذه المدينة بصوتها الملائكي الرخيم، وستهشم واجهات المحلات الزجاجية الأنيقة بجلال نيرانها...
عندها سيرقص صعاليك المدينة فرحاً بتطعيم آخر دوائر الاستفزاز في المدينة.
قال لي أخي.. في معرض رسالته:
ـ أخاف عليك من الاستلاب..
وقالت فاطمة:
ـ فليعد إلى الأشياء بعض رحيقها..
تسقط الأشياء اللزجة.. هتفت أنا بقوة، حتى اهتز عرش الكلام في نبرات صوت فاطمة .. ازدادت سرعة نبضاتي
ضحك أحد السابلة وقال ما معناه مجنون بلغة التجرينية..
عندما اكتشفت مغزى هذه العبارة.. دخلت أقرب البارات إلى شهوتي.. وحين أردت الشروع في تناول قدح البيرة، وجدت فاطمة عنده تركت القدح وقبلتها قبلة أجلت بزوغ فجر المدينة.
والليل يحتضر.. وفاطمة تقتسم مع الفجر الآتي أشياؤه القصوى والمدينة الدائرة تعلن قرب يقظتها.. والشعراء الغاوون يكتبون آخر مقاطع من عروضهم وتفعيلاتهم المرقعة. في تلك اللحظات بدأت دواخلي في النهوض..

إقتحمني صوت فاطمة، فتلاشيت فيه حتى نهاية مداه..
لملمت أشيائي.. وقررت الرحيل..

تسني 14 يناير 1994

تشكيل حركي ثان لحوض ماء قديم

ليس أمامكم بابا فتقصدوه وليس وراءكم بابا فتلتفتوا إليه.
الإمام النفري.

ما زال صوتها، تلك العجوز الصلفة يتردد على أذنيك رغم الضجيج.
رذاذ المطر يرشح جسدك الزاهد، تتجاذبك هموم الناس والأرض
وهمومك الخاصة ويتراءى لك صوتها مخنوقا ومبحوحا وسمجا.
لماذا لم يكتب إليك رسالة واحدة؟.. لماذا لم يبعث بعنوانه؟..
لعله الآن يعاقر (الدومة) في هجير صحراء
دنكاليا ويصنع من بندقيته وترا تستريح على أنغامه طيور البياض الراحلة دووو، دو، دو.
لقد عثرت عليك في منتصف جنوح صلفي نحو الفوضوية، كنت صغيرا آنذاك وكان على ظهري ثقب من نار، وقلبي يدوي.
وكنت أنت في منتصف حوض الماء القديم حينما لم تنتبهي لطيور البياض المهاجرة من الساحل مع طلائع فصل الأمطار، حينها وضعت على يدي رسالة البحر الأولى:

آن للصحراء أن تخلع الآن رعونتها، أن تنزاح قليلا من مزالق متخامة سواحلي.
آن لبخار الماء أن يتمرد على حالة كونه يخرج من باطني دوما، إذ أن أمعائي صارت تكره الزفير. وللسفن أن تلهوا كيفما شاءت، ولي أن أتجمد قليلا ـ وكيف حال المساء بين نهدى الحبيبة.
وبعد
هذي الظهيرة مثل الجحيم، أتتني النوارس تلهث تعلن أن الفضاء البعيد يفج فراغا، يريد امتلاءًا أخيرا
بعد الحبيبة للانفجار.
....
لحوضي القديم نهودي وأثدائكم
بكم قد أدبر أمري، وألغيَ ارتباطي بصحرائكم، سأخمش ذاتي إذا لم تردوا على الرسالة وأقذفها في الفضاء البعيد
أعدوا السفينة.. لا تكبحوا شهوة الأسئلة «صديقكم البحر».
وفي منتصف الطريق سحبت يدك ببطء من باطن كفها وشرعت في تأمل هفهفة الفعل على أجنحة الطيور، حيث مساحات التأمل غير قابلة للاحتكار.
حوض الماء القديم العشب. بعض الفطريات والماء آيل للاخضرار، إليتاك العاريتان على قاعدته اللزجة. والماء متبل بخراء السحالي يلتف حول عنقك. يطوقك.
حوض الماء القديم. العشب. وأناملها، انبثاق نهداها من شفافية الماء الأخضر الفاتح، لون الحلمتان، امتلاء ريقك باللعاب كتفها ناعمة الملمس، وشرايين نبضك الدافئة تمتلئ بالدم الفوار.

قال من كنت تفتكره نقيا:
ـ ارحل. أهلي قادمون.
حملت أمتعتك..
قال الحوض:
ـ أهلا قد عرفتك.
....
غـادر «جابـر» دون أن يـترك عنوانـا هـل حاقـت بـه لعنـة الاهداءات.
صار ميتـا، أنطفأ مرة وإلى الأبد صوت تلـك العجوز اللعينة اللعوب.
والمدينة التي أخذت منك أربع من أنفر وأبهى من سني عمرك غفلة.. عدا بعض من الروعة المستحمة بعرق بعض الأصدقاء الحميميون، ستنهار في ذاكرتك التي لا تنسى شيئا.

غادر جابر دون أن يترك نجمته الضاحكة.
الصحراء والظمأ والبندقية..
والأوفيا قليلون والسماء أوسع من الأرض، والطحالب تنمو بهدوء في حواف حوض الماء القديم وقاعدته. وأشعة شمس الضحى تنعكس في اخضرار الماء.
حملـت أمتعتك على ظهرك ورحلـت. وكان على ظهرك ثقب مـن نار. كنـت في انتظار عـودة طيور البيـاض، حين داهمت منزلك بغتة تلك العصافير الجريحة وكنت تشفق منها عليها.

متأخـرة دون إبطـاء أعنت أن مضجعها سـكون حلـم تواتر الشـعر فيك. غادرتها عندما صار صوت العجوز النزقة يطن في أذنيك على الدوام.

عـدت ثانية إلى هدوءك.. قرأت رسـالة البحر الثانية جاءتك مـن لدنه تحملها طيور البياض في صبيحة موشـومة بخضاب حنائها..

«قد تكون جزيئاتك الآن سفر جدة أو شفق
قد تكون على متن حبك نصا جديدا.. يهزك.. تغفو قليلا..
وتنهار، تحلم أن النهار، جدار من التعب الساحلي».

«إليك القصيدة ـ ولي السلام
لك اندثار الشتاء وملحي
موجي يشتاقك الآن..
لا تغرق في غيره..
لا تغرق في غيره..
صديقك البحر».

جلـس عـلى صخرة مـن عورتـه قرب حـوض المـاء القديـم، اسـتدعي حاسـة شـمه القديمـة، وخـراء السـحالي لا زالت رائحتـه عالقـة على حـواف فتحتـي أنفـه.. إلا أن جابر كتب رسالته الآن:

«يكفي أني أحس براحة ما».

حـوض المـاء القديم تسـنى ـ منـزل جابر غير محـدد الأبعاد ـ مجازا يشـبه الرباعي. غطاءه من الزنـك الصدئ ـ ماءه نميرا، ومختلطا بالطحالب
وأنا ذاكرة لا تنسى شيئا..

الغالي صالح

مواليد عام 1970، قاص وصحفي.
له إسهامات في عدد من الصحف والمجلات.
صدرت له عدة نصوص ضمن انطولوجيا القصص الأرترية المترجمة للغة الفرنسية.

افتـراق

(..) (..) رفيقان حميمان، منذ أن كانا يجيئان ويغادران المدرسة ـ التي كانت في الأصل معسكرا للجيش ـ، الجاثمة هناك في التلة الموحشـة، قرب المنزل ذي البناء الغريب، بدقة أكثر، مذ جاء أحدهما، ذلك الأسـمر الممتلئ الجسد.. الخجول، من ما وراء غابة الأبنوس، ولجا دهمة.. جربا احتسـاء الخمر البلدي سـويا.. خطيـا في درب طويل تبـين فيما بعد أنـه لا يؤدي إلى سماء طليقة.

كانـا معـا، في الأحوال كلها.. ذات يوم خـرج الأول مثقوب القلـب، موسـوم بالبلاهـة والحـزن الثقيـل، الثـاني عـاد بلا ذراعين، صخاب.. معاد.. وبعينين حمراوين، لا تبصران.

في وسـط السـوق.. في إحدى ممراته المملوءة بالأنفاس، التقيا، لم يتعـرف أحدهما على الآخـر!.. وقفا لبرهة متقابلين لم ينطقا حرفا، فقط، علت أنفاسـهما فوق نداءات الباعة.. زفر كل في

وجـه الآخـر.. بصق الأول عـلى الأرض تحته.. الثاني، سـال مـن أنفه دم أزرق.. لم يقدر على إيقافه، فاسـتدار مواليا ظهره للأصـوات، وصاح بتضامن مع موجة الضجيج: «فليمسـح أحدكم عني دمي أيها البلهاء».
ومضيا كل في اتجاه.

زمن الليمون المدلوق

الريح المجنونة، تصيح، تصرخ في وجه سماء مجروحة، تنشب أظافـر نقمتها في أثداء نسـاء مقرورات. ـ أيهتـز فوح حجارة أرض مغبونة؟..

ـ يتأوه ظل الوهم المخبوء في نزف جراح مفتوحة..

ـ بل قل، إن العالم جرح متقيح بالقبح، صدقني أيها الطائر أني لم أعد أزهر.. نضبت عروقي، عقمت..

ـ أن تتنفسي أوجاعـك، ليـس هذا بسـبب قبح العـالم.. فانا مثلـك، لم أعـد أعـرف إلى مـن أنتمـي، صدقينـي أنـت أيتها الليمونـة.. التـي لم أتبينها أول مرة، اختلطـت في أنفي رائحة زهر الليمون بالعطن المستبيح أحشاء الفضاءات.

ـ خانتنـي الذكريـات.. وضللت الطريـق إلى العدم، منذ أول صباح بارد.. وحجر رمادي، وعشـيرة منخـورة تنزف خبلا وانكسار. ولم أقل مثلما قلتـ

ـ ولكنك كــــ...

ـ ولكنك لـــــ...

هكذا كانت محاورة الليمونة لطائر مجهول الاسـم والموطن.. ليـس هـذا كل مـا دار، فقد ذوى الصـوت.. ولم يعد يسـمع من قريب.

كـاروشـة

حمل حذاءه بيديه المتآكلتين، مشى في الطرقات المتربة بلا غاية، مشى في الشمس.. في الغبار، وكآبة ثقيلة تخيم على وجهه المتيبس، المنقر بحفر عميقة. هنا وهناك أمضى نصف يومه وربع يوم في المدينة الصغيرة، وهو يجد السير الذي لا هوادة فيه.. أخيرا، أتكأ على جذع شجرة «عرد» عتيقة جافة ومنخورة. أسند رأسه الممتدة على الجذع شد سرواله المنكمش إلى ما فوق ركبته بقليل، بدا وكأنه استراح.. الآن أسبل جفنيه كمن قرر أن يغفو ليحلم. لكن ذلك لم يدم فجأة، أرى عينيه لنهيق الحمر، ودخان عوادم السيارات الكهلة.. أرسل عينيه بعيدا، وقريبا من منخريه الأفطسين إلى وجوه السابلة الذين يمرون من أمامه.. تعلقت إحداها بردف امرأة بدينة، بدت عينه تهتز مع اهتزاز الردف الممتلئ.. تأرجح في مكانه فغارت مؤخرته في الثرى تحته.. أيقظه هتاف صبية تحلقوه.. ما يقال عنه، أنه كان يعيش في مدينة مجاورة ثم مات مرة!، يشهد بذلك أناس قبروه بأيديهم ـ على ذلك يقسمون! ـ، ودهشوا عندما رأوه يبعث من جديد ههنا.. شرع الصبية في حصبه بالحجارة.. وعلت أصواتهم بالصراخ: كاروشة البعاتي.. كاروشة البعاتي.

هب، في ثورة.. يلعنهم ويلعن آبائهم، ينفض عن مؤخرته التراب، وعلى رأسه أرتال من النمل الأسود المندفق من جوف الجذع. نظر في كل الجهات بعين غائمة، أنَ أنينا لا إنسانيا.. دوى في رأسه ذكريات قديمة.. اخذ في تسلق الشجرة التي لم تعد مؤرقة ولا تبدو انها قد عرفت الخصب يوما.. أعتلى قمتها، وألقى نظرة أخيرة على الجمع الغفير من الناس الذين

احبهـم وجهلوا طريقته في الحب، قرر ان يبقى في اعلى غصن جـاف متماهيـا فيـه إلى الأبـد، ولم يعد يشـاهد مـرة أخرى في طرقات المدينة وهو يجد في السير.. وحذائه بين يديه.

نسيان

ذات صقيـع ورهـق، كتب إليهـا يقول: «ما زلـت حتى الآن ـ بعـد سـنوات خمس موجعـة ـ أفتقد رنين صوتـك وعينيك الخجولتين تبدوان بريئتين.. لا تجرؤان على الثبات أمام عيني، يـدك على يـدي نعبر الناس وتراب السـبل المبهمـة والحيطان المائلة على الطرقات المتعرجة....»
كتبـت إليه تقـول، حين توقفت ولم تكمل قـراءة ما كتب: «لم يعـد هناك ما يسـتحق أن نهبه ما تبقى فينا من حس ونشـيج، يكفـي أن نعيـش في سـجوننا الداخليـة، فالبشـاعة تجثـم في الخـارج، نعم، إنها أبشـع مما نتصور.. وأعلـم أنني لا أفتقدك الآن، قبرتك في عمقي المدجن منذ زمن.. ولم يصيبني شيء.. مرات أخالك تؤرقني، تنتفض في ولا أعيرك اهتماما».
قالـت: «عليـك أن تنسـى حتـى وجـودك، تعيش بـلا طعم أو رائحة.. مسخا تكون أو لا شيء، هذا أفضل لك ولي».
قرأ ما كتبت، دمع قليلا «كرجل» وانتحب، ثم مسح دموعه.. وأخذ نفسـا عميقا وقـام إلى المرحاض يتبول مـاءه.. !، ومن يومها لم يعد نضرا كما كان.

عبد الرحيم شنقب

قاص.
نشر عدد من أعماله القصصية في الصحف والمواقع الالكترونية.

ظلمات الصيف القديم

عاد من الغابة عند المساء يجرجر نعليه، رأى في المدى الفاصل بين الغابة والقرية ولأول مرة - شجرة هجليج عتيدة، وحيدة، دون ظلال.. فاندهش.
رفع حواجبه الكثة، مسح ببصرة الأفق في أقصى الغرب ألسنة اللهب تتوهج شذرا، والمرجل الكبير ينفث بخارا أرجوانيا على السطح، وقف يتأمل المغيب المذهب، ألسنة اللهب تخبو ببطء وئيد، الأرجواني الفاقع أدركه ضباب المشيب، استحال شاحبا، يتوارى خجلا، يستر عري دمه القاني، يتزمل في مخمل قرمزي فضفاض، ويتلاشي رويدا.. رويدا، كما بسمة الشفاه الكوشية الحسيرة - خلف غلالة بنفسجية لسحب شفافة تعتلي مسرح الأفق الغربي، تحتضر الشمس، تلفظ أنفاسها، يخمد رنين الألوان، يهمد زبد السحب، ينسكب البياض الفضي، يسفح ماءه اللجي مذرا ويتمدد علي درجات الفضاء الساكن الصامت، المشدود في بلاهة، ويموت النهار.

أحس بالرهق وضيق الوهق، انكسر واقفا، فانسكب، تنهد بحسرة، وانتزع نفسة من الزمن، ودع بنظرة عجلى من طرفه الهجليجية العتيدة الوحيدة، وواصل سيرة الزاحف نحو القرية.

عندما دلف داخلا المنزل هرعت لملاقته طفلته الصغيرة، تعلقت بعنقه ارتمت في حضنه الأغبر المعفر بالتراب والدخان والعرق، واستلقيا على (العنقريب) في فناء المنزل، كان متعبا حد الإعياء من نهار عمل شاق طويل في إشعال نيران الكمائن، وكانت تمطره بالأسئلة الملحاحة الهاطلة كما الظلمة في تلك الليلة، ويجيب على أسئلتها الكثيرة مداعبا ويمسد وجهها البدري ذي المسحة الزنجية الرقيقة في حنان.

قفز لسانها العصفوري بغتة يسأل عن الغابة: ألوانها، أصواتها، رائحتها، ظلالها؟، دهمه السؤال، فأنذهل.. صمت مشدوها، تجلببه الظلمة بطنينها، ابتلعته كما تبتلع ضوء النهار.

دفن رأسها الصغير في صدره وربت على ظهرها وأشاح بوجهه بعيدا عنها نحو قبة السماء، السماء المتلألئة بآلاف الحدقات، الحدقة المحدقة في أسي محرق، وحنين إلى الجدر الحميمة، جدر الحياة الجميلة، والتي كانتها ذات يوم، الجدر التي انتزعت منها في انفصال أبدي، أنغرز في تيه كهوفه وأغوارها المسربلة بالظلمات، فانسرب، رأى نجما قد هوى، برق الشهب عن وجهه ومضى، أبصر وجه أبيه فبكى، انتزعت الطفلة رأسها من حضنه، انتفضت تنظر إليه بعينين حائرتين زمنا، غطت جفنيها براحتيها الصغيرتين وبكت، وانتحبا متعانقين في نشيج طويل، نهض من غفوته مذعورا، القمر عاد كالعرجون القديم، والطفلة تغط في سبات عميق، فانتحب.

منذ صيف قديم، شق الوهج الأول ظلمات الفجر، تزاحم واقفا

قطيع البقر الوحشي القاطن ـ منذ آماد بعيدة ـ، وادي القرضة، خلف الجبل الوحيد الصغير. وقف متجها نحو الشرق في كتلة عجفاء يائسا، صامتا، شاحبا، وكئيبا وقد ضمرت بطنه، وبانت ضلوعه، ينظر بعيون حزينة، قبس الشروق وقد هده الهم، هم ألم الظمأ القاتل وعذاب الجوع القاتل.

عند إنبلاج الفلق تنفس الصباح دفقا من نسمات الجنوب الطرية، رفع القطيع مناخيره يستقبل النسيم، فتح أنوفه اللزجة على سعتها ودار، دار على الجهات الأربع يستنشق الهواء، ويشهق ويدور ويخور، يشتم النسيم الطري، وقد زاغت حدقاته من محاجرها، كما دمعت وارتعشت أهدابها الطويلة، يقف ويبول، يستنشق ماءه المسفوح وينخر، يلعق منخريه وملح الدموع، يدور حول نفسه فاتحا أنوفه، رافعا مناخيره، يتناكب حينا وحينا يتقابل، تتلامس مؤخراته، تحتك الجلود الجافة، تتصادم القرون دون اشتباك، يخور ويدور حول بعضه في حركة وجد وانجذاب صوفية.

في الغداة، ومضت عيون الثور الكبير بفرح غامر، ولى وجهه شطر الجنوب وتسمر زمنا يكابد قسوة الشهيق، ترنح، كاد يسقط، تشبث أظلافه بالأرض، أطبق جفنيه برهة وبال، رفع عقيرته بخوار طويل متهدج أجش وتقدم في خطى عجلى إيذانا بالرحيل.. الرحيل صوب رائحة الماء صوب الصعيد، نحو نهر تكزي البعيد، تدافع القطيع خلفه محدثا جلبة وغبار الثور الكبير في مقدمة المسير يلتفت بين الفينة والفينة بإصرار ويخور، يرد من يحاول محاذاته ويدمي بقرنيه من يحاول تجاوزه

أو استعجال أقرانه، يغضب إن بدر ذلك ويثور إذا تكرر، فهو الدليل والحامي، الآمر والناهي في الأوقات العصيبة.
الثور الكبير الذي خبر الزمان وخبرته لدروب، دانت له قيادة أحفاده أقرانه السوالف فأنتشى.
أقتفى أثر القطيع وعل هرم أشعث معقوف القرنين بخطى عرجاء، غادر موطنة الحيوان، غادر مرتعة الإنسان، تفرقت الفرقان تفرقت القطعان تفرقت أيدي سبا.. بددت السنون العجاف سكونها ـ في الوادي السعيد والجبل الأخضر ـ، شذر مذر، وأطبق صمت القبور في الخلاء الأبدي، وشمس الهاجرة تقرع أجراس الخواء وتبر السراب وريح العدم.

3

في الأصائل الطويلة الحارة كان البقر الوحشي يروي ظمأه من نهر تكزي النحيل، ويقتقات العشب المالح الجاف المتناثر في حواف الأكمة، يرعى في الوديان السلفية وسفوح الجبال الغربية، ويبحث عن عشب السعدة الطرية دون كلل يجهد في بحثه، يحلم بالعشب الطري، ولا يجد غير العشب الملح الجاف، وجد الماء شرب الماء القراح ولم يجد العشب الندي، بعد أن ارتوى وتوسد ضفاف النهر النحيل الحنون يطمع أن يهنأ بالعشب الأخضر، يحلم بالاجترار، يمني النفس بقتل دودة الجوع الناهشة في أحشائه، العشب الجاف لا يقتل دودة المسبغة، لا يسكت سعار الجوع في الجوف.
الثور الكبير الذي خبرته الدروب، لا بد أن يجد العشب الطري الندي في تلك السهوب والوديان، لا بد من العشب الأخضر لا بد منه.. لقد أدركه الجنون، جنون البحث عن العشب الأخضر.. فسرح.

ذات ظهيرة قائظة وجد الثورة الكبير العشب الأخضر، وجد التباس في الوديان العميقة خلف الغربية عند نهاية السهوب في حواف الهضبة الجنوبية، وجد التباس ولم يجد السعدة، لا يهم فذاك عزاء.. التباس في الوديان العميقة يحفظ ماؤه آمادا طويلة.

راعي القطيع في الحقل الأخضر وقد التمعت مقلته بالفرح الغامر، يلتهم العشب، يقضم ويلوك، يجتر في نهم. الثور الكبير يرفع رأسه بين الفينة والأخرى جذلا ويخور.. يسوط بذيله الهواء، يدفع بمنكبيه مداعبا صغارا القطيع. يشاكس بقائمته اليسرى البقر العجوز في نشوة وفرح ويعود يرعي في العشب الأخضر.

انتفض القطيع الأشهب فجأة.. انتصبت قرونه كفروع أجمة الكتر الجاف، نظر بعيون واجفة نحو الغرب تحرك في ارتباك ورعب، انتزع أظلافه من الأرض وجفل في عدو ضابح، سابح نحو موطنه الجديد، نحو النهر صوب الضفة الأخرى للنهر.

في المدى الفاصل بين الجبال الغربية والنهر في الدغل القريب من النهر، هطل الظلام كما المطر، تاه الثور الكبير في الدروب بين شجر الكتر، تاه. توقف يرتجف، تفصد عرقا ودما أعماه الظلام وأدمته فروع أشجار الدغل الشائك، حشد كل قواه في صدره ورفع عقيرته بخوار وواصل في خوار محموم رددت رجع صداه كل الأرجاء. تناهى إلى سمعه خوار آلاف الثيران الموغلة في التيه منذ آماد سحيقة، فصمت ثم استرق.. فانصعق.

سمعته الذئاب.. سمعت ندائه وأقبلت من مرقدها بين الصخور. أتت من كل فج تعوي وقد سال من ألسنتها

اللعاب. وانتشرت في الدغل وتكاكات حوله، طوقته بإحكام وأخـذت تتقافز من خلفه وأمامه ومن تحته وفوقه وجرجرته خارج الدغل.

سـادت الهرجة في قلـب الظلام، في الخـلاء المتواطئ، بصمته الخـؤون، صـدرت صرخـة فجيعـة فظيعـة، تلقفـت صداها الأشـجار وكتمتها في ضلوعها الجافة اليابسـة الجريحة.. فخر جدار.

مـن على مرتفع الضفة رأى الموت صبي، سـمع هسيس قلب الموت الفجيع في جوف الظلام، أبصر قاع الظلمات في أحشـاء اللجج المتكاثفة دون ضجيج وتوارى خلف الضفة الأخرى.

قالـت القابلة بحسرة وهي تجمع أدواتها لاستقبال الطلق في القرية الأخرى.

(الموت يأتي غفلة يا بني).. فشب باكرا وشاب.

4

في المسـاء الخريفـي العليـل عاد مـن (العداقـا) متأبطا مخلاية الوبـر المصبوغـة باللـون الأسـود، والمحملـة بالمستلزمات البسـيطة (سكر وأشياء صغيرة) وقد امتلأت أوداجه بالغبطة وأثلـج صـدره الحبـور يتمايـل في مشـيته طربا. ينقـر الأرض بعكازه وصدريته الواسـعة، يهفهف النسـيم أطرافها منتشـيا يسـتعيد حديـث النهـار، حديـث الذكريـات مـع أصحابـه القدامـى ذكريات الصبا والشـباب والأيـام الخوالي في القرى والمرعـى، ذكريات مغامراتهم في قرى الصعيد، في بحر أزرق والدنـدر، في قنـدر، وفي مدر، في قدي الامحـرا والوالقايت. تذكروا يوم أن حكم الثور وحد وطاقة دمور، و قهقهوا حتى بانت لثاتهم المتآكلة.

تذكروا مناوشتهم مع المزارعين الزنوج في بحر أزرق والدندر، ومعاركهم مع (الشفتا) في بقي مدر وأعالي تكزي وباسلام. تذكروا بطولاتهم في صرع الوحوش الكاسرة في المراعي.. تذكروا أغاني البقر (بقايت ودوحين) شربوا الجعة البلدية المصنوعة من الذرة الخضراء (كني جقا) تذوق طعم القهوة بالقرنفل بعد عشرين حول، حانثا بالوعد الذي قطعه على نفسه ألا يشربها بعد وفاة زوجته.. تسامروا نهارا كاملا وتذكروا كثيرا شعراء زمانهم الفحول وزفاق المراعي والنجوع القديمة.

أدركته ثلة من شباب القرية ـ عائدا من العداقا داهمته كما السيل الجارف وتجاوزته، استفزه الموقف، انتفض كالملدوغ وقفز، ربط وسطه بصدرية وشمر التمائم الجلدية أعلى مرفقيه. واقتلع قدميه وانطلق في إثرهم مهرولا، وقلادته تتقافز في صدره العاري مع اتساق خطواته العريضة وتقدم صفهم، لم لا وهو جواب سهوب الصعيد مرتاد آفاق الهضبة، صارع الوحوش، السباق بأبقاره في الموارد والمراعي البعيدة.

تقدم مثيرا خلفه نقعا كما (رايموك) بقرته الرشيقة العيطاء وهي تتقدم القطعان في الموارد والفضة تخلخل في عيطها.

عند طرف الغابة خلف الوادي المنعرج في السهل المنخفض بانت رؤوس الأكواخ، حكم قلبه، حكم عقله فأنزوى.. انزوى جانب الطريق، أفسح الدرب للشباب متصنعا البول، وجلس متكئا على جذع هجليجة وقد هده الرهق ونال منه الظمأ، جلس كئيبا يتحدث محاورا نفسه بصوت مفؤود: (لم العجلة) ولم كل هذه الهرولة؟، لم التصابي والتقافز في الدروب إلى القرية؟. خبا البرق في عينيه وخمد، سال خطين حارقين على تجاعيد وجنتيه وبلل صدره، تقرفص، انزوى في

قوقعتـه وغـاص.. غاص في باحات عميقـة (زوجتي الحنون التي موتهـا موتي وانكسـار عمري ورزقي.. ماتت المسـكينة كمداً وحسـرة بعد انقطاع أخبـار ابنها.. ابنهـا الوحيد الذي غادرنـا قبـل أربعة وأربعين عـام.. نعم أربعـة وأربعين حول وقـد نما إلى علمي أمس الأول، ولأول مرة خبر يقين بوجوده في بـلاد بعيـدة، في دار غـرب، في بـلاد الفور، وقـد تزوج في كهولته وأنجب طفلة و.. و.. ليته سماها حنين)، وواصل في هذيانه المحموم بقلب مكلوم.

أعياه الوهن سرقه الوسـن، فقفا ورد ورد بحيرة آسنة يعلوها الهوام رأى غابات مظلمـة يجثم أمامها حيوان هلامي يجتر في كسل، رأى أشجار جريحة ونساء يضفرن السعف وقد تحلقن حـول قدر صفـراء تفوح رائحـة قديمة نافـذة، وطفلة تحرك القدر بهراوة غليظة تنظر ناحيته بحياد تفحص وجوه النسوة، رأى وجه أمه ووجه زوجه ثم وجه القابلة تتداخل في جسـد واحد.. فصرخ.

فتـح جفنيه على سـعتهما كانت الظلمة تهطل كنثيث السـحر، أرخى سـاعديه على ركبتيه وضغط عـلى الجذع وأطبق جفنيه مطارداً الحلم.

رأى المنـام ثانية.. رأى كرأد الضحـى في الوهدة الفاصلة بين اليقظـة والنوم، وقـد ألقت الطفلـة بالهراوة بعيـدا عن القدر وهمـت لملاقاتـه مبتسـمة، أحـس بخـدش في مرفقة أقشـعر جسـده، التهـب بدنـه، تململ في جلسـته وهز رأسـه وتنفس بعمـق، كان الهـواء مشـبعا بالعفن، تذكر عشـاء ذلـك اليوم البعيد على ضفاف تكزي. تذكر الحسرة في عبارة القابلة، وتاه في دروب غبراء شائكة وفي آماد زمنية سحيقة طواها النسيان وفي دهاليز سفر الوهم.. أنسرب، فأندهش.. سرح فأنسكب،

استرق فأنصعق، خر فصرخ، انتحب فانتشى.. لامسته أنوف طريـة، دغدغ زغب رطب رقبته وأرنبـة انفه، إبطه، وحلمتيه أناره هيجان مفاجئ.. فابتسم.

إشارات:

القرضة: وادي جنوب جبل علي قدر يصب في نهر عطبرة.

تكزي وباسـلام: أنهر تنحدر من المرتفعات الإثيوبية لتشـكل سـتيت في الأراضي الإريترية والسودانية.

العداقا: تجمع الأسواق في الأرياف.

الشفتا: عصابات النهب المسلح.

الكتر: أشجار شائكة تنتشر في مناطق السافنا الفقيرة.

بقي مدر: مقاطعة إثيوبية في الحدود الشمالية الغربية.

البقايـت والدوحين: نوعان من الأبقار لها بسـطه في الجسـم وارتفاع ورشـاقة في القوام، توجد في إقليم القاش بركة ومنخفضات عنسبا الغربية.

كنـي جقـا: ذرة خضراء تـزرع في أعـالي القاش، وتسـمى عنـد التقري(بازيناي) وتعتبرعند الكوناما المحصول الرئيسي.

تبدى الصباح هادئا ... يا رفيق

«عليكم الاعتماد فاحترسـوا»، قالها قائد السرية فانصرفوا إلى تجهيـز عتادهـم، وعندمـا أردف «أيقظونـا إذا تطلب الأمر»، كانـوا قد توغلوا في الممر العميق المـؤدي للخنادق الأمامية.. كانوا سـتة من أفراد السرية الثالثة.. عندما تبدى لهم الصباح هادئا فقدروا أن اليوم سـيمر دون اشـتباك.. كـي ينعم أفراد سريتهـم بالنوم الذي افتقدوه لأيام اختاروا الخروج للمناوبة في الحراسة.

ارتكزوا متباعدين.. غطوا بانتشارهم امتداد الدفاع الأول.. بين الواحد والآخر حوالي ثلاثون متراً أو يزيد.. تخندق الأعسر في أقصى اليسار يتحسس الخندق المتكئ على الصخر مرددا دعوات الصباح الحميمة التي يوقن أنها درعه الأمين، وتمنى أن تعم الدعوات الصميمية طول الخنادق في الجبهات، نظر طويلا إلى السهل الممتد أمامه حتى تخوم الجبال الجنوبية.. وهام في تهام صعيدية حبيبة.. ونجاد ساحلية بعيدة.. تنهد، ثم أعاد النظر في الأشجار المقصوفة والأرض المبقورة والصخور المسحوقة، وجذوع الهجليج الجريحة.. وركام الحديد النافث في حشرجة متقطعة.. أسبل، ثم أنخفض.. رأى أشلاء مبعثرة.. بطون بجرة.. أشداق فاغرة.. وأجداث متناثرة، أنشد مشرئبا إلى الأجمة القريبة.. رأى كفاً يتمايل في تشنج متوتر.. أغمض عينيه، سمع عويل الريح يتعالى من الأعماق.. فشهق.

دفقات الصبابة من خلف أقفيتهم داعبت حلمتي أذنيه الكبيرتين، ووشوشت في تجاويفهما، وجاست إبطيه المنفرجين، ودغدغت منخريه.. نخر، فأقتلع من جوف أنفه ما تبقى من طحين الأمس.. زفر، فانتعشت روحه ودبت الحيوية في أوصاله رغم عناء القتال ورهق السفر الطويل من جبهة (بورى) البعيدة في الناقلات المكتظة بالرفاق.

صعدت الشمس مقدار رمح أو أقل.. هفهف الهواء الطلق خلف قفاهم، فانشرحت أسارير مقلتيه.. جاب ببصره الأفق، في المدى بين الأجمة والخندق.. وما وراء الامتداد المتاخم للجبال الجنوبية، أعاد الكرة مرة أخرى فرأى، الغابة البعيدة رأى ...!، هب من جلسته.. رمى بحجر.. أشار لرفيقه الذي في الميمنة، وعم السكون.. في ومضة كأنها دهور أسترجع

شراك الطيور الموسمية خلف البلدوزر الأزرق القديم في أصيل طفولة ممطرة.. تذكر يوم أن نهشه كلب الجيران الهرم في كعب قدمه اليمنى، عندما هرع للحاق بأقرانه في التصدي لصبية حي (زقلونا).. احتدمت الذكريات.. تزاحمت في ذاكرته الناشطة وجوه وظواهر وأشياء كثيرة.. مبهمة يحسها ولا يحرزها.. أحس بوخز في كعب قدمه اليمنى، ابتسم.. دوى السهل الموحل بالأحداث فصفعت بأجنحتها وطارت عصافير الأرق.

دوى السهل، ثم دوى.. أشعل الصدى شواظ من لظى.. شهب تبرق.. كتلا تتعرى.. قطعان تساق.. قطيع منصعق في انعطاف هاز.. جدر دم وجسد.. جدر تعلو وراء رعشة العيون، والريح في الأعماق تعصف.

صعدت الشمس كبد السماء.. تدحرجت عجلات الزوال، جذرت سيول الضحى العجلى.. وخلفت في الأرض أثقالها، السهل الضيق الموحل بالأجداث فاض زبدا وجفاء.. انكبوا على العتاد المتناثر، كما النحل.. يحومون، يدورون، يقلبون ويطفون ويدورون، في المسافة يباعدون.. تتبع صمت انكبابهم صفير.. التفتوا منتصبين من ظاهر الخندق أشار الأعسر.. فعادوا مثقلين، مسرعين ارتموا في باطن الخندق متعبين.

نظر الأجش مليا إلى كومة المغانم في ركن الخندق، عب من ممطرته الماء، ونخر الكلام: «لما أثقلتم ظهورنا يا رفاق ومخزون القرن يأتي تباعا تحت أقدامنا؟». زفر ثم أضاف: «متى يرعوي الأوغاد؟ حتى متى ينساقون كالنعاج الجربة إلى المحرقة؟.. ويلطخون أيدينا وأفئدتنا؟!».. صمت وبرقت عيناه.. ألتفت إلى كومة المغانم وهتف: «أرم لي بتلك الزمزمية يا نحيل، ربما

فزت منها (بسوا عدوا).. إنها إكسير إلهي، كما يقول ندامي (أبا شاول).. ألم يأتيك نبأها من قبل يا صديقي؟!، ألم تسمع حديثهم عنها وهم يتلمظون ويمصمصون شفاههم الزغبة؟.. قالوا إن (المنليك) الثاني منها يزهر الفرح المفاجئ في القلوب، وترفع عقيرة العريس بالغناء في حفل زفافه.. أما الرابع فحدث ولا حرج، هرج ومرج.. يطفق السُكر المعربد في الرؤوس.. وربما عض العريس فخذ عروسه أو فقأ عين أخيها بالعظم إن كان أبلها! وربما أشتبك أهل العروسين وأختلط الحابل بالنابل وفزع المدعوون.. وقد تمتد المعركة للقرى المجاورة إن لم يتدخل العقلاء وما أقلهم حين ذاك«.

«وماذا تفعل في رأس العريس المهذب؟». نطق النحيل بسذاجة محببة. رد عليه الأجش: «العريس المهذب والجندي الجبان سيان.. تفعلها معهم من تحت ـ يا صديقي الطيب ـ تبلل سراويلهم.. بالمناسبة في هذه (الجراية) الأنيقة أربعة بنطالات أنيقة أيضا اليوم سوف استبدل ردائي القصير هذا بواحد منها وأهدي البقية وألبوم الصور للرفيقات».

قال أكبرهم وهو يتدحرج من الضحك: «أحذر يا أجش، إياك أن تلعب بالنار.. فالعسر لا يستبين الرفاق إلا برداء البوري القصير».

تسامروا.. قهقهوا حتى اهتز الخندق.. سرقوا من العمر ساعة قبل أن يبدلوا تكتيكاتهم ـ للمفاجأة القادمة ـ بالكمون في الممر العميق الرابط بين الخلفية والخندق الأمامي، لاستدراجهم وحصرهم في الوسط، ثم مداهمتهم من الإطراف والخلف.

في الأصيل النحيل جذرت ـ للمرة الثالثة ـ ألسنة السيول العجلى.. بعد أن إرتضمت بسفوح الخندق الثاني في الباحة الوسطى، تناثرت إربا.. تشققت الأرض بركام الدم.. دماء

وذوائـب أخـرى لزجـة امتزجت بالعشـب الجـاف وأوراق الشجر، وأوراق مسودة.. ملطخة.. وبطاقات بريدية ممزقة.. وصور مثقوبة يزروها الريح...

أندلـق في الوجوه وجوم الرهق، وفي العيون المحدقة من الممر العميـق انسـكب ضبـاب الأرق.. بمعنويـات مترهلة همس النحيل: «هذا الحصاد يكفي، لا أحسـبهم سـيعيدون الكرة، لقـد فقـدوا الكثير.. وأقـترب المغيـب و....»، بحماس صاح الأجـش: «اسـتضفنا اليوم أكثر مـن كتيبـة». وأردف عاليا: «سـتة.. فقط نصف درزينـة من الرجال قاموا بسـقاية كتيبة، يـا عععععععععععععععععععععـالم.. يا...عــ... لــ... م ، اللعنة على راعيهم، هشهم واندس في (.......)، ذاك الجبان».

أشـار الأعسر أثناء قدومه من الخندق الخلفي بالهدوء، وقال: «بقيـة السريـة في طريقها إلينـا يا رفاق، فلنشـدد المراقبة لحين استلامهم للموقع». ثم وفي حركة مربكة وغير متوقعة صعد النحيـل لظاهـر تراب الممـر العميـق.. ربما للتأكـد من مقدم الرفاق، وبين اعتراضهم أرتج المكان.

فتـح عينيـه لا يدرى كم مـن العمر نـام.. دار بمحجريه نحو قـرص يتهـاوى في بحـيرة أرجوانيـة بتوهـج.. الأفق ألسـنة سـيول تترجرج.. ألسـنة لزجة تتمـدد في اللانهائي.. ينحسر الأرجـواني عـن جـزر قرمزية.. ينسـكب البيـاض الفضي في مدرجات الفضاء الساكن.. الصامت.. المشدوه في بلاهة.

رفـع حواجبـه المثقلـة بالـدم المتخثـر رأى جذر جسـد ودم، جـذر نازفـة وأخـرى... ألتهـب جوفه.. ضاق صدره شب حريق في حلقه.. أحس بسـياط تلسـع صدغيه.. أسهما نارية تسـتعر في جسـمه.. أختنـق، حـاول النهـوض.. هـوى على جزعه مقصوفا.. أستند على مرفقيـه.. اتكأ على باطن كفيه..

كابد فأستوى.. تقيا حمما من لظى، كتلا ومزق.. أرخى جذعه على جدار الممر الضيق ونزف.. رأى ظلال تتماوج.. أغمض عينيه الداميتين، سمع حفيف طيوف.. وهمس: «أ... لـ... أ.. عـ... سـ... ر، حدق فانداحت صباحات بعيدة.. من خلف كتف أكبرهم لمح بلدوزر يحترق.. حدج السماء فرأى أسراب طيور تحلق.

تسني / 2000

خالد محمد طه

من مواليد عام 1966.
نشر عدة قصص بالصحف المحلية والعربية.
أشرف على منتدى السبت الثقافي بأسمرا.
كما ساهم في إعادة بعث (ملحق الآداب والفنون) بجريدة: أرتيريا الحديثة.

سند

بين القبلات التي توزع على الجميع، وفي زحمة المدينة النشوى، سمعت من ينادي.. وقفت لكنني لم أرى الهاتف.. هممت بالذهاب، لكنني عدلت حين سمعت المنادي مرة أخرى.. وقفت، رأيته وهو يعبر من الجهة الأخرى للشارع، بقامته الفارعة وقد انفجرت ابتسامته عن أسنان ناقصة أبدا..

ـ هو بعينه موسى القط ؟.

ـ لا زلت حيا إذا يا عزيزي.

ـ ها أنا أمامك .. وليس بي جرح ولا خدش.

أخذته إلى مقهى قريب، لفتتني خطوط الشيب التي غزت رأسه.. كان حزمة من النشاط، وأكثرنا إجادة للتسلل لخطوط العدو، لزرع لغم أو لإبطال آخر.. في خفة نادرة تفوق خطورة الموقع!.. لذا لقب بـ: (القط).

قال:
ـ لم يطرأ عليك تغيير يذكر.. عرفتك من النظرة الأولى.. ناديتك، لكن تلك السيدة أخرتني بقبلاتها (وهو يضحك) عندما رأيتك تهم بالذهاب صرخت وفمي قرب أذنها مناديا عليك.. تجدها قد وصفتني بالجنون.
ـ هل ما زلت تعمل في الهندسة؟.. سألته.
أومأ برأسه ايجابا ثم وبصوت لفت انتباه الحاضرين رددنا الشعار الذي كان بمثابة الدرس الأول (أحذر، فالغلطة الأولى هي الفرصة الأخيرة).
سهمت مسترجعا تلك الأيام الرائعة، ثم قلت له:
ـ وهي.. كيف حالها؟.
أجاب:
ـ بخير لكنها ليست معنا الآن.
استدركت:
ـ آآآ.. نعم سمعت أنها جرحت.
ـ لا.. كان هذا قبل سنوات وقد بترت ساقها بسبب الغلطة الأولى، أما الآن فهي تستقبل عزيز لنا.
صافحته مهنئا:
ـ قد صرت أبا العريس إذن.
ـ أو العروس لا أدري.. لم تصلني أخبار منها بعد، وأنت ماذا فعلت؟.
بمرارة المخفق أجبته:
ـ أنا وحيد تماما كما تركتني.
ابتسم بمكر وغمز يسرى عينيه، وقال:
ـ هل تتوقع أن أصدقك؟.. عموما سنرى.
خرجنا بعد أن شيعتنا راعية المقهى / البار بابتسامة تدل

علـى جمال ولى، وتنـم عن عمر قاني الأمسـيات (عندما هممنا بدفع ثمن القهوة الشـديدة التركيز رفضت بطريقة فيها دعوة لمـا هو أكثر من القهـوة.. وكنت قد ضبطها تنظـر إلينا، أيضا بتركيـز!)، افترقنا أنـا و(القط) على أن نلتقي كيفـما اتفق إذ لم نكن نعرف مستقر لنا بعد.

في أحـد صباحـات الهضبـة البـاردة، كنت أتجـول في نواحي (ماركاتـو) الصاخبة، حيـث ترد اللوريـات المحملة بالبصل والموز، آملا في أن أجد شخص أحمله رسائلي للأهل في قريتي ذات الصباحـات السـهلية الدافئة، أثناء تجـوالي الباحث ذاك أخرجت سيجارة.. وفتشـت كل جيوبي الخالية على كثرتها.. لم أجـد الولاعـة، قاتل الله النسـيان، ترى أيـن تركتها؟.. من مسافة ليست ببعيدة.. وبصوت مألوف حدثني أحدهم:

ـ أنت والفقر إخوان، تعال معي كبريت.

رأيـت محدثـي، قائم على رجل واحدة ويسـتند على عكازين، تمعنـت في وجهـه كان يضـع نظـارة تخفي عين عطبـة، قال في ابتسامة تكشف عن أسنان ناقصة أبدا:

ـ ألم تعرفني؟.

ألجمتني المفاجئة برهة ثم اندفعت بأسئلة متتالية:

ـ موسـى؟.. كيـف حـدث هـذا؟.. ألم تدخـل بسـلام؟.. أين.....

قاطعني بثبات مذهل:

ـ مهلك، أولا تعال وقبلني، ثم أشعل سيجارتك اليتيمة هذه وفي الوقت متسع للحكاية.

ثم أردف وهو ينقد بائع الدخان نقوده:

ـ حـضرت لأشـتري هـذه و إلا لمـا وجدتنـي في هـذا المكان المزعج، هيا بنا.

كان واضح أنـه لم يعتـاد المشي عـلى ثلاثة أرجل بعد، سـألته سؤال أخجلني فيما بعد:
ـ أهو حادث مرور؟.
بذات الهدوء المذهل أجابني:
ـ أنسيت عملي؟.. بعد أن افترقنا توزعت وحداتنا للعمل في استخراج الألغام التي كان قـد زرعها العدو.. أمام دفاعاته، وحول معسكراته، وفي أي مكان يمكن أو لا يمكن أن يخطر عـلى بال، كان مـن نصيب مفرزتنا العمـل في حقول قديمة.. وجدنـا بعـض الخرائـط التـي أعانتنا عـلى استخراج بعض الألغام، أمـا البعض الآخر وكما تعلم كنا نستخرجه بطريقة (ستجده، إن لم يجـدك) وها قـد وجدني!. المهـم كيف أنت؟ وكيف وجدت طعم أيام المدينة؟ أم أنها وجدتك؟.
قبـل أن أعطيـه إجابة على أسـئلته التي (وجدني) بهـا، كنا قد وصلنا لأحد الشوارع المتفرعة من شارع الحرية ـ هكذا سمى الآن، كمبوشتاتو سابقا ـ، وقف صاحبي أمام مطعم من التي يعج بها المكان، أومأ برأسه وهو يقول
ـ هيـا ندخـل، كنت قد تركتها هنا تتناول إفطارها، سـنجدها إن لم تمل الانتظار.
لمحتهـا جالسـة في ركن قـصي .. أدارت وجههـا عن الجميع، بعـد أن وضعـت عكازتيها على كرسي مجـاور يبدو أنها رأت صورتنا في المرايا المواجهة فما إن كدنا نصلها حتى هبت واقفة على ساقها الوحيدة.
كانت بنت فصيلتنا، وكنت شـاهدا على بدايات حبهما، كانت ذات جمـال متقـد.. ولم تزل، لكـن ترك الزمن فيهـا بصماته.. وفعلـت مثله الألغام!.. كان موقـن بأنه يحبها، وكانت تؤمن بعشقها له.

ـ أفرحني موسى عندما أبلغني بأنه التقاك هنا، بعد كل تلك السنوات.
ـ فرحتي به كانت أكبر، لكن كان اللقاء سريع ولم يهدئ الأشواق.
شملته بنظرة أعرفها، وغمزت بعينها اليسرى.. كما عودتنا عند الحديث الجاد، وقالت:
ـ وهل تهدأ الأشواق له؟.
لم أدعها تواصل في غزلها المعلن، قلت:
ـ أتركي الأشواق الآن.. أنبأني موسى حينها أنكما استقبلتما (ومبدى) جديد، كيف هو أو هي؟.
ـ إنه بخير.. أسميناه (سند!).
بالطبع، لم أسألهما من دلالة الاسم.. لكنني وجدت نفسي أفكر في ذلك الطفل المسكين، فهو وبالتأكيد سيعاني كثيراً، من هذه المدينة القاسية.. قبل أن يصبح لهما سندا! ترى مع من تركوه الآن؟.
جلسنا فترة ليست بالقصيرة، اجتررنا فيها سيرة الرفاق، تعمدوا تذكيري بتلك الزميلة الرشيقة.. الواضحة كما (القنبلة الصينية).. الواقع أن الزمن فشل في أن ينسينيها.. وأنا لم أحاول النسيان !.
ودعتهم هذه المرة بعد أن اتفقنا على لقاء قادم، فقد صار لنا مستقر الآن. ومشيت راجعا تجاه (ماركاتو) لأنجز سبب خروجي أصلا وقد شاب طعم الصباح حزنا دفين.. أتذكره وهو يجري خلفها إثر تعليق أطلقته على أسنانه الناقصة أبدا.. أتذكرها أثناء السير وهي تحاول اللحاق به دون جدوى مع خطواته الواسعة / الواثقة.. أتذكر تلك الرشيقة الواضحة، التي غادرتنا في ليلة مظلمة.. وهي تتوهج!.. أتذكر.. أتذك..

أتذ.. أت.. آآآآآآ.
لم أوفق في مسعاي، حقا.. إنه صباح تعيس منذ البداية، زحمة المارة عمقت إحساسي بالضيق.. بعضهم استغرق في أحاديث مترفة تعلوها الضحكات!.

وصية

إهداء:
إلى الذاهبين حيث لا وطن.

ها هي، جالسة أمامي في مقهى (ستي بارك)، وهي.. من مكانها تراقب حركة المدينة من قلبها.. جميلة مثلك، ها قد أشرقت كعروس أضفت عليها نسائم الحرية رونقاً وشباباً!
أتذكر لحظة أن ولدت بعد مشقة اضطرتني أن ألازمك...
ثم كان إصرارك أن نسميها (وصية) بينما كان اختياري (حرية).
كما كنا نفعل في السابق كنت أزورها كلما أتيحت لي سانحة، ولا أزال أذكر تفاصيل حوارها معي في أول زيارة لي بُعيد حادث قصف تعرضت له المدرسة برغم مساهمة الوادي في إخفاء مبانيها وكذلك الأشجار!
- بابا... ما هو الاستعمار؟.
- إنه من يأتي من أرضه لاغتصاب أرض الغير.
حاولت أن أجعل مفرداتي بسيطة وغير مشجعة لمواصلة الحوار، لكن يبدو أنني ضغطت في موضع الجرح لأنها انتفضت وهي تقول:
- يأخذ الأرض!، وأين نلعب نحن؟.

وجدتني أضمها قائلاً:
ـ نحن نناضل لتلعبوا في أرضكم.
عاجِلتني بسؤال كسته بمرارة ناضجة:
ـ ولِمَ يقتل الصغار؟.
أجبتّها بسرعة الموقن:
ـ حتى لا يكبروا ويقاوموه.
أنزلت يدها عن كتفي وتململت في محاولة للتملص من قبضتي، وقالت:
«- أنا لا أحب الاستعمار.. كما لا أحب الطائرات.
ساعدتها بأن كفت يداي عن تطويقها ونصحتها:
ـ أكرهي الاستعمار فقط يا صغيرتي، أما الطائرات فلها منافع كثيرة، سيأتي زمن تؤكدين فيه ذلك.
أومأت برأسها ذات اليمين وصمتت.
مرت تلك الأيام بحلوها ومرها، وصغيرتنا الآن هيفاء رائعة القوام، بذات لونك الأسمر الهادئ.. أخذت منك الكثير، الجيد الصنوبري، والالتفاتة الموّقعة، والابتسامة الآسرة المدعمة أبدا بنونتين على الوجنات، حتى العينين اللائي وضعن على ذلك المحيا الوضاح، شكرا يا أكثر من حبيبتي.. فقد تركت لي نسخة حية منك لأواصل حبي لك فيها.
في الزيارات الثلاث التي تلت سماعي لنبأ استشهادك ظللت أتحاشى نظرتها، فقد كنت أخاف من تساؤلاتها كما كنت أخاف أن يفضحني ارتباكي حتى ذلك اليوم، حين كنت أقلب كراستها وهي تحكي: ـ طلبوا منا أن نكتب جملة مفيدة كلنا كتبنا: (أبي مقاتل في الجيش الشعبي) ضحكت معلمتنا ولم تعلق! أليست هذه جملة مفيدة؟.
هززت رأسي نافيا لأي جملة غيرها.

في تلـك اللحظـة دخلت علينا بنية نحيلـة دقيقة الملامح قائلة في لكنة محببة:
ـ وسيا.. الشاي لك و لبابا.
تناولـت (وصية) براد الشـاي وطلبت منهـا الانتظار قبل أن تدس يدها في جيب سترتي وتخرج قطعة حلوى أعطتها للفتاة التي غادرت في فرحة جزلى.
أفرحنـي مـا فعلـت وأخجلنـي، إذ كان عليّ أن أقـوم بذلك، وكأنهـا لا تريـد أن تسـمع أحداً غيري اقتربـت (وصية) مني بدرجة صرت أحس بأنفاسها تلهب صدغي وقالت:
ـ إنهـا زميلتي اسـمها (حَبَن) كانت أمها تـداوم على زيارتها، لكنها انقطعت في الفترة الأخيرة.. يبدو أنها استشـهدت مثل أمي.
أزاحت عني الصغيرة هم كبير، لقد تركت لي في كفي غيمة!، واكتشـفت أنك وضعت في كفيفاتها بصيصاً من ضحكتك.. تلك الفلجاء الجسورة.
يومها، أتعبتني أسئلتها فهي لا تذكر شيئا عنك.. وأنا لن أنسى أي من أشـياؤك!، يومها، أعطيتها صـورة لَك لا زالت تزيّن واجهـة مفكرتهـا.. أوَ تذكرين عزيزتي تلـك الصورة؟.. نعم ذات الصورة التي أرسـلتها لي مع سـائق عربة لواءنا وكتبت على ظهرها: (حبيبي دائما، لك صورتي ووصية إلى أن نلتقي.. حبيبتك أبداً)، ثم لم نلتقي.
الله.. الله.. مر العام، إثر العام، إثر العام كنت اشتاق لحبيبة بلون الزيتون.. وأحن لمدينة بطعم الليمون، وكانت الوصية.
في لقـاءاتي معها بعـد أن انتقلت إلى ثانوية (نقفـة) التي غاب عنهـا هزيم المدافع وأزيز الطائراتِ، وطوابير الجنود الليلية.. وكل ما عشـناه سـويا وأحببناه معاً، حيث لم تعد جبهة أمامية

كما كانت، أدهشتني الصبية بنضجها المبكر، ووعيها الذي كنت أتوقعه لكني أعترف أنني أجهل عمقه ! يا للمرارة والمعاناة التي أنضجت جيلها.

ليس بعد، ففي إحدى نهارات (الدفاع) أتاني (سالم) حامل الراديو، ذلك الثرثار الذي لم تؤثر طبيعة عمله البرقياتية المغتضبة على طبعه! أبلغني (أن فتاة تسأل عني، لم يسبق له أن رآها، حضرت من الجوار.. لم يسألها لكن هيأتها تنبئ بذلك، ربما تكون من المقاتلين الجدد فهي صغيرة، وربما...) قاطعته، باختصار لأنني لا أود خسارة قرص (أسبرين) وطلبتُ منه أن يدخلها.

حين رأيتها انتفضت واقفاً.. نسيت قامتي المديدة، خبطت رأسي بجذع من الجذوع التي تسقف المخبأ المظلم والقصير.. فتراءت لي الصورة التي طرّزت سنيني بالحب، صورة منك.. تناولت سلاحها، وأجلستها وهي تقول:

ـ آسفة يا بابا، لكنني فضلت أن اكتب لك بعد أن أعرف الوحدة التي سأعمل فيها، ثم بعد أن حضرت إلى هنا فكرت في أن المفاجأة ستكون أجمل.

سألتها:

ـ هنا؟.. في هذه الجبهة؟.. منذ متى؟.. حضر المقاتلون الجدد منذ ست أسابيع، هل رفضوا السماح لك بزيارتي؟.

ـ لا.. لا لكنني خجلت منهم، أأطالب برؤية أبي قبل أن أحفظ أسماء رفاقي؟.

ثم أصبحنا نلتقي دائماً، صرت أكثر اطمئناناً عليها، اجتزنا معاً معارك السنوات الأخيرة.. ليتك يا عزيزتي كما عشت لتريها كما أنا.. ولتسمعيها..

ـ يا بابا نحن هنا أين ذهبت.

اقتلعني صوتها وأعادني لهذه المدينة، أمامي وقف نادل المقهى وسألني:
ـ بماذا أستطيع مساعدتكم؟.
لا أدري ما الذي جعلني أقول له:
ـ أسمع الوصية.
لم يخف النادل حيرته ولم يرفض طلبي، وهي.. شملتني بتلك الالتفاتة الموَّقعة والابتسامة الآثرة المدعمة بنونتين على الوجنات، بذات الأعين الموضوعة على الوجه الزيتوني الوضاح.. وبكامل دهشتها، فلأول مرة انطق اسمها بهذه الطريقة. لكنها أومأت برأسها ناحية اليسار وصمتت.. كنت موقن بأنني رأيت ضحكة فلجاء جسورة، وتمنيت لو أنني أدس يدي في جيبي وأضع في كفيفات كل الأطفال بصيص من ضحكتك تلك الجسورة.

جمال عثمان همد

إعلامي من مواليد اغوردات عام 1963.
نشر عدد من قصصه بالصحف الاريترية والعربية.
مدير موقع (عدوليس) على شبكة الانترنيت.

بعض من تيه الجسد شيء من ارتجاج الروح

نرميه في البحر..!!
انكسر الصمت.. سقط حجر في عمق تفكيرهم الراكد المتبلد.. تدورت موجة، سرعان ما لاحقتها إخوتها.. هدأت نفوسهم التي انجرحت تشبثت بالفكرة أصبح بالإمكان مناقشة الاقتراح المهين مع أنه وفي زوايا أخرى من نفوسهم كان يتبلور سؤال ملح عن معنى الحياة.. معنى الرحلة العبثية حملتهم المحروقة واتجهت مباشرة إلى الجسد المسجى.

ـ لا.. لا..
ـ لكنه سيتعفن.
ـ يمكن أن يصمت يوماً أخر حتى..
ـ أبو دقن ماذا ترى.. أفتي؟؟..
ـ إكرام الميت دفنه.

ثم غمغم.. تلى ذلك صمت خلوي ران على المركب المتجه

صوب الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وعلى ظهره بضع وعشرون رجلا وجثة لم تبرد بعد.
نظر الربان المدبوغ الوجه إلى رفيقه بعينه الحادتين فأحس الجميع بالمكر.. بادر أصغرهم سناً وبحدة لا تتوافق مع مرحه المعتاد:
- سيمنع هذا الأجاج تعفن الجثة حتى جزيرة ميدي.
ضبط محمود بصره وهو يحوم حول الجثة المسجاة في زاوية المركب، أشاح بعيداً في اللازورد المتلاطم.. صعدت أحشاؤه إلى حلقه.. أفرغ معدته.. عيون مطفأة.. صماء تحدق بتحجر في فراغ المركب تتأمل فراغها الداخلي.. أغمض عينيه ضغطهما داخل محجريهما بغية إفراغ المشهد يا رب الفرج..
يا رب.
- احتوته السماء الصافية، فاض برجاء لا حدود له. كأنه أودعنا أسرار وأمال عمر يرحل من يعيل؟. هل..
وارتدت إليه إجابات غامضة من العباب الذي يمخر المركب.
- أربعة أشهر ماذا.. لو
«مصوع» تذهب بعيداً باتجاه المغيب البحر أنشطة تضيق كلما اتسعت بصيرته وامتدت الرحلة خوف يتسرب من ممكن خفي.. يتغلغل في الأطراف ينحشر بين اللثة والأسنان.
جزيرة ميدى أمنية تتوقف عليها الحياة !!، لهدأة الليل البحري رائحة غامضة اختزنتها ذاكرته.. رائحة هي مزيج من هواء البحر.. والأسماك.. رائحة مدينة رحل عنها أصحابها..
رائحة الليل البحري رغم التباسها لا تثير الفزع ولا تطمئن من روع.. أية متعة تلك التي كانت تمتد فيه وهو يقرأ اويوازر الروسي أو ذلك الشيخ الهمنغواى العنيد بهجة تلك الرائحة

التـي كانـت تنفذ من زورا في مجادلاته الليليـة. أطلق عينيه في غياهب الظلمة الكثيفة هرش مقدمة شعره يبحث عن مكان يلتجأ إليـه.. ذاكرته يتوغل فيها الليـل يلامس لحمها الطري يعبـث بسـنوانتها.. يـرج بحيرتها الراكـدة.. تتطايـر كالقطن المنـدوف، تحلق بعيـداً تتجمع كأسراب طيـور خريفية ططط ط.. ططا.. طططا.. طط.

الجمـل المعـافى يدور ببطء حـول المحور الضخـم للمعصرة، وبرغاء كظيم يستجيب لأنين الأخشاب. طراخ..خ خ خ خ خ خا.

التجاني، بكرشـه المندلقـة، وصدره العاري يفرقع سـوطه في الهواء.. يهرب وسـط أترابه وهم يتصايحـون.. جلبتهم توقظ عم سـعد الجبلي من غفوته الضحوية من على كرسيه الخشبي الكبير يشيعهم بعينين منتفختين ويعود إلى إغفاءته مغمغماً. ططط، ط، ط

المركـب يبحـر باتجاه الشرق في غفلة مـن العـالم النائم جبال تتشكل تسير قليلاً وتصبح سراباً كانهار الآمال.. جبال ظزبد .. الرائحة تتكاثف أكثر.. البحر الأحمر بدأ أبيض ثم تدرج.. أصبح كحلياً داكنا ليصبح أسود.. الرائحة تزداد كثافة.

ـ أية رائحة تلك؟؟

قفزت إلى ذهنه مرة ثانية رائحة الخيش المشبع برائحة السمك.. والطحالـب والأشـنيات، الرطوبـة المتصاعـدة والحشـائش الصغيرة في البنيات المهجورة.. رائحة الكاكى بعد المطر حول دفاعات المقاتلين.. تفتح الحياة استمرارها.. النهار ليس بطيئاً لكن الليل ليس طويلاً.. وفي الليل معارك أخرى.

المنطقـة تشـهد نهوضـا ثوريا..الشعوب أدركـت معركتهـا الحقيقية ومواجهة بحرب شرسـة من قبل الدوائر الرأسـمالية

وربيباتـه في المنطقـة. حـق تقرير المصـير ليس مفهومـاً مطلقاً وحوار لكسمبورغ مع.. أمن البحر الأحمر مرتبط بأمن الثورة في المنطقة.
حزبـان ماركسـيان في مـكان واحد وبـان معا يعتـبر أحدهم انتهازيـاً ولمصلحـة الثوريـين وتطورهمـا.. الرفيـق منقـى في خطابه الأخير أمام المركزية دولة العمال والفلاحين..
توقف لهاث الرجل.. استـقر شـنبه الكث فوق شـفتيه مسح رغـوة البـيرة.. مـد أناملـه الناعمة لعلبـة المالبـورو وأزاحها جانبا.. اسـتوقفته أنثوية أنامله وهي ترتجف برقة أثناء إشعال اللفافة. كان يسـتخدم عينيه بطريقة فذة ومثيرة للاسـتفزاز.. كلماته تخرج من بين شفتيه وأسنانه الصفراء لزجة، باردة.
لكـم تتحمل هـذه المقاعد كأنه يسـمع أنين الطـاولات تحت وطـأة الأذرع القوية وحياكة المؤامـرات الصغيرة والمفردات الملتهبة..
ـ أبـو جورج: أبو جـورج يتحرك بخفة لا تناسـب ما ينوء به كاهله من سـنين مسح الموائد التي يحركها أبو جورج بفواتيره وطلباتـه.. الدخـان يحـوم على المـكان.. تتقاطـع الأيادي.. يتراشـقون.. أبو جورج دائما معهـم كان يفك الاشـتباكات الصغيرة.. هم دائما نفس الرواد.. في مقهى أم نبيل البيروتي.
أنساك دة كلام
أنساك يا سلام.. ا
هو ده المش ممكن أبدا..
الأيدي تشتبك.. يتم الفك.. يتلاطم الدخان..
أم كلثـوم.. تبـث أحزانهـا.. تفتـت أكبادهـم، الوجـه يـزداد اصفرارا.. يتطاول.. الأسـنان تطـل مدببة خضراء.. تتطاول الأنياب.

أم كلثوم تصدح.. يتجاوبون بآهات عاشورية تصب الكؤوس تطفي بعض أحزانهم لا بد لهذه الأمة أن تأخذ درساً في التخريب تضج القاعة بالتصفيق.. والشاعر الثمل يلتقط أنفاسه ويعبئ كأساً أخرى..
غليان الدم يزداد ويتدافع بين فوضيه.. الرجل يرغى ويزبد..
تنمو قوة جهنمية في ذراعه التي ظلت مستريحة الطاولة ترتفع قليلاً.. قليلاً.. تبتعد دقات قلبه.. يحس بصدره عارياً إلا من القوة الخارقة التي تحرك ذراعه..
أبو جورج يهزه بعنف وهو يمسك ذراعه..
انتبه إلى كفه المعلقة في الهواء وقد ماتت فيها القوة وصلنا.. وصلنا.. وهجم عليه.. احتضنه الفتى بقوة وهو يجهش بنحيب حاد.

خطأ صغير ممكن أن يحطم حياة كاملة ويسفح أمنيات على قارعة هذه الصحراء التي تبدو ساكنة.. أساخ السمع..
(عواء الذئاب يعنى أن بالقرب بشر).
الكثافة الصامتة تحيط بالمكان، وبالرجال الذين ينزلون بحزر من المركب الراسي.. سار بضعة خطوات والتفت.. التمعت عيناه في الظلمة الفضة المتموجة..
في هدأة الغسق الأول لامست قدماه البحر العاري، سرت اللذة وئيدة قاسية وزاخرة باليقين يقين وجوده الآن.
صرخة مكتومة متوحشة متقطعة.. انتهره القطبان.. تجلت أمامه كل مباهج الحياة وفتنتها.. تدافعت الأمنيات.. تلوث وجرت كثعبان أمامه مخترقة الصمت الذي يربض أمامه.
احتضنت كفة الثلاثينية المبنى كف الصبي الغض وفي الغش المبدد والمتلاشي دخلا الليل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة تحت

أقدام البحر.
هامش أو في حكم المتن في مبنى القصة: إنه وفي الشهر السادس لرحيله صوب البحر كانت صحيفة يومية تحمل في إحدى صفحاتها المهملة الإعلان التالي:
إعلان محكمة.
محكمة: الشرعية.
النمرة: 27 ق 1997م.
إلى محمود
لقد أصدرت هذه المحكمة حكمها الغيابي الآتي نصه، في مواجهة تلك المصالح المدعية زهراء... ولك الحق في المعارضة والاستئناف خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلان.
الحكم:
حكمت غيابياً للمدعية زهراء... على المدعى عليه محمود.. الغائب عن المجلس بتطليقها منه طلاقاً بائناً للغيبة وخوف الفتنة مسنداً لتاريخ 1997م، وأمرتها بإحصاء العدة.
قاضي محكمة الشرعية
دائرة شؤون الأسرة الأول.

هوامش:

جزيرة ميدى: جزيرة صغيرة على البحر الأحمر يلتجأ إليها البحارة والمهربين.

مصوع: الميناء الأول في أرتيريا.

همنغواي: إشارة إلى بطل حنا مينا.

الجبلي: اسم يطلق على كل يمني في أرتيريا.

منقى: تصغير لمنقستو هيلى ماريام دكتاتور إثيوبيا السابق.

- الإشارة إلى قصيدة مظفر النواب «مأثورة اريترية».

فواتير مبدئية لذاكرة الآتي

أعجب الأشياء أن تحصل في غير أوقاتها وفي غير أماكنها.

عبد الرحمن منيف

أحس بارتياح واستقرار في معدته... رفع رأسه وتتطلّع إلى واجهة الفندق، فعكس الزجاج الملوّن ملامح وجهه التي لانت واستعادت تقاطيعها المألوفة، ألقى نظرة على القيء.. سائل لزج يشبه الوحل وقد امتد مسافة نصف قدم تقريباً في الواجهة التي تعلوها إعلانات ليلة الميلاد.

تمعن خلف الزجاج. صالة واسعة متقنة الترتيب، ضمّت مقاعد وثيرة، وفي الزاوية اليسرى استراحت بضع كروش ترتدي سترات لامعة تدخن باسترخاء وكسل، ولا تكترث لما يجري خلف الزجاج الملون. لاحظ عند المدخل عامل الفندق وقد وقف بشكل متقن يرتدي بذلة سوداء مسخته إلى ما يشبه الوطواط. كان الفتى الوسيم المحيا ينظر إليه باشمئزاز بين.

خ.. ا.. ك. تفوا. بصق.. مسح فمه بكم الجاكيت، نظر حوله فانفضت حلة الفضوليين دون أن يتبادلوا كلمة واحدة فيما بينهم.

شدّ ياقة بزته العسكرية العتيقة، ودون هدى، انخرط وسط الجموع التي تمارس نزهتها اليومية في حركة تشبه طقوس (الصفاء والمروة) في شارع الحرية (كمبشتاتو). الأمواج البشرية تتناقض كلما انحرفت جنوباً في انحدار الشارع الذي يلتحم بشارع الشهداء.

عند نزلة كافتيريا منتزه المدينة توقف على كتف المنحدر وأخرج علبة التمباك فطارت بفعل حركة دخول وخروج

اليد شهادة الخدمة ـ التسريح ـ، وإذن صرف الإغاثة.. دفعهما الهواء الطري في المجرى الذي يجازي الإسفلت لتستقرا في حوض التفتيش المائي في نهاية المجرى. سار خطوات مترددة لالتقاطهما، إلا أنه عدل عن الفكرة، شيعهما بحياء وتابع سيره.

قهقهات هستيرية أحدثت تصدعاً هائلاً في داخله.. دويُّ انفجار كتيم في دوامة رأسه.. اختلَّ توازنه، وطغى عليه إحساس مميت بالخواء، مع انتهاء سور المتحف الوطني انحرف يميناً، صاعداً زقاقاً شحيح الإضاءة كأنه نفق سري يتبع القصر أو استراحة الإمبراطور (هيلي سلاسي) التي حُولت إلى متحف. تمتم.. (إنه مظهر من مظاهر الإستقلال.. هه).

كان الصمت يعوي تحت ضربات العكازين وصوت الحذاء البلاستيكي الكتيم، انحسار الهواء في الزقاق ساعده على سماع وجيب قلبه بوضوح، فأحسَّ بأنه حزين وبائس ـ ظل فقط يسعى بين الناس يسوق بضاعة تجاوزها الزمان ـ، انفرج الزقاق على صفوف من الفيلات الأنيقة، حديثة العهد، تحرسها كلاب سمينة ممتلئة النباح. باعد من خطواته ليتجاوزها.

(كم كلفنا هذا الاستقلالٍ ألـ...)، اخرس.. ما تبقى من الجملة فتتها في داخله خجلاً، وسار أمامه شارع مستشفى الحياة، صفين من الأشجار يمتد على طول الشارع مما زاد من شحوب الإضاءة فيه. كان وحيداً والمستشفى ساكن كمنطقة عسكرية، تطلع إلى معصمه، كانت عقارب الساعة تشير إلى ربع الساعة بعد منتصف الليل. أفضى به السكون اللذيذ إلى ساحة نصب تذكاري لم يكتمل فتبدد السكون وانتشر في

الـدوار الذي علقت عليه لافتة قماشية كتبت على عجل وقد تدلى طرفها الأيمن:
(الشهداء مشاعل نور تضيء لنا الطريق).
(أما نحن فظلال تسعى بين الأرجل، نسوق بضاعة كاسدة).
دفع الباب بعد أن حرره من القفل، توقف برهة... كان ضوء الممر أول الواجلين في صمت الغرفة، مشكلا زاوية منفرجة.. خطا بضع خطوات ليسقط ظله منكسراً حتى الجدار المقابل. أشعل لمبة السقف الوحيدة. عيون عديدة كانت تتطلع إليه بعذوبة وألفة، ومواساة فادحة.. عيون متوسلة وملتاعة. مزيج من الحزن والانسحاق يملأ الجسد المشرع في وجه الريح، بسط الصورة الحديثة الإطار.. أخرجها من خلف الزجاج. جال بعينين زائغتين على الوجوه، رفع رأسه في مواجهة الحائط خشن السطح. انفتح ثقب كبير في هامة الرأس الأصلع.. شده الثقب فجرى على امتداد العمر الذي شارف على العقد الخامس. كانت ماضيات أيامه هلاما، مسخاً ومتداخلا بصورة غاية في التعقيد والعبثية.. خلف هذا التشوش كانت أيد تلوح مبتعدة، وجوقة من الأغنيات القديمة تغني نشازاً، تثقب طبلة الأذن. ضاعف من وتيرة ركضه، صرخ.. فخرج صوته مشروخاً ما هكذا كنا نغني الأغاني!!.. كيف استحالت أناشيدنا نشازا؟!!.. ردد الصدى اليباب قهقهات مجنونة لضحك هستيري وحشي، ليعم المدى نشازاً النشيد الجماعي، كانت وجوههم مطموسة كلوحات خرفية عتيقة.
ركض.. ركض وسط الدمار.. أثار أحذية الشدة البلاستيكية، وظروف الذخيرة تزداد كلما أوغل.. ويكتسح الاخضرار

يباب أصفر، يتفجر سيلاً أسود من البطن وينتشر صديداً في أنحاء الجسد المثخن. أحس بسخونة في فوديه، تتفصد جبهته عرقاً حاراً، سمع لهاثه وقد غطى المدى وطغى على ما عداه.. تيبس طعم الحليب في حلقه وفاضت رائحة الحليب الطازج في المكان.. تنفسها بشوق عظيم.. تدافع اللعاب الحليبي المذاق.. امتلأ فمه فابتلعه دفعة واحدة.

عاد إلى الصورة.. كانت الوجوه تشع منها العافية والابتسامات الدسمة.

(من ميزات الجماعة هي أنها تجعل المرء أكثر حبوراً ومسرة، كما وأنها تجعله يتفجر غضباً وجنونا).

لم يفكر في السبب، لكن أعجبته الحكمة التي استخلص.

(كان جبل الشيخ) المجلل بالبياض يحتل خلفية الصورة الجماعية التي يعود تاريخها إلى منتصف الستينات. لاحظ انتفاخ الجيوب العليا للبزات العسكرية، فتذكر الكتيب الأحمر (من أقوال ماو) صديق المسافات الطويلة.

طرق خفيف ومهذب على الباب أفسد عليه هذا الصفاء والود.

ـ يبدو أنك....

وقبل أن يكمل زائره الجملة، باغته:

ـ منذ متى لم نصلي؟؟!

الملاحظة السؤال ألجمت زائره.. أكفهر الرجل، تجمدت عضلات وجهه، بان وريد رقبته. تسمَّرت عيناه في الفراغ المحيط.

مد إليه الصورة.. وواصل فرز أغراضه الخاصة عن ممتلكات التنظيم. محتويات الغرفة الباهتة زادت من وطأة ذهنه المحموم، والطلاء الرخيص الذي لم يتمكن من محو تذكارات

جنود العدو الذين تعاقبوا على السكن في الغرفة، فكر أن يدون اسمه أيضاً، إلا انه استخف بالفكرة.

هبت نسمات رطبة لبت حاجة وجهه المشدود. رفع رأسه فألفى الباب الذي يواجه النافذة الوحيدة مفتوحاً على الممر الطويل الذي يفصل بين الغرف، قام وتربسه. ضم الصورة إلى الملف الكبير.

عندما بسط البياض أمامه.. دهمته قشعريرة مباغتة، سرت في أنحاء الجسد كتيار كهربائي.. شل يده الممسكة بالقلم فسقط في بياض الورقة.. كان البياض بريئاً وسمحاً كوجه طفولي.

قطع الغرفة جيئة وذهابا بخطوات وجلة، تنفس بعمق.. حبس الهواء في رئتيه، تنفس، محاولاً تبديد اضطرابه.. وبعد مداورات نظر إلى المسدس الذي ينام أمامه على بياض الورق بلونه الحديدي ومقبضه الأرجواني.. زالت الألفة التي كانت تربط بينهم وتحول السلاح إلى قطعة حديد منفرة. جس مقبضه أحس به ناعماً كأفعى، لزجاً وقاسياً كشوكة وحل.. حرَّر يده، فكها منه سرى في أعصابه ارتياح عميق. جس بياض الورق.

إلى من يهمه الأمر:

الاسم (..........) حامل الرقم العسكري (..........)

الوحدة العسكرية (..........)

مسدس ماركة براون رقم (.........)

عدد الطلقات خمس طلقات عيار (..........)

بمحض إرادتي وكامل وعيي.. أكمل. وقع.. ثم دون التاريخ.

طوى الورقة بحرص شديد. وضعها داخل مغلف كتب العنوان على ظهره.

وجـد نفسـه في مواجهـة السـور الهائـل تحـت تلـة منطقـة (حزحـز).... توقف في سـاحة تقبل العـزاء اندهش للسرعة القياسـية التي قطع بها المسافة من المعسكر إلى هنا. كان الهواء العليـل يزوبع بقايـا حنين قديم وينثرها بعيدا في سـماء المدينة الهامـدة. بلع ريقه. رائحة بقايا الحليـب الطازج، فاحت ثانية من المكان.. بصق متأففاً.. تباً لهذا الحليب!!!

تسـللت يده إلى حيث يسـتقر المسـدس.. طلق نـاري احترق ظهره ليسـتقر في الأسـفل عند عجيزته.. انتفـض بقوة واهتز كيانه.

سـحب يده بسرعة من جيبه، صوب في الأفق الملبد بالغيوم.. تمنى استعادة حنين قديم. هيهات.. يجب أن أستمر.. لا وقت للتراجع.

(كنتـم كالعقبان يا بني.. من على هـذه التلة كنت أرى الدماء وهـي تغلي في عروقكـم.. كنت أهـزم هرمي وأسـتمد عمراً آخر.. سيج بقايا مساراتكم ونكاتكم وأمضي)

أتاه الصوت من مكان قصي...عميقاً ويقينياً.

دفع باب مدافن (الشيخ الأمين) فاحدث الباب صريراً صدئاً وجافاً.

(الرواية)

أحمد عمر شيخ

إعلامي.
صدر له:
نوراي / الأشرعة / أحزان المطر، ثلاثية روائية.
الريح الحمراء، رواية.

أحببت في البدء ذلك الحب الغض الوادع.. محمود البكر قال أنني امرأته التي لن يتخلى عنها طوال العمر، لتمضي سنواتي الأولى على ذلك العهد قبل أن توافيه الأقدار ويموت دون ينبئ من هم حوله!.

لماذا مات؟!..

تساءلت كثيرا واقتربت من الكفر البواح، لأستعيذ بالله من القنوط..

في الليلة الخرساء وجدوه جثة هامدة في فناء الدار..

ـ مات ميتة الله، كما قالت أخته بشائر، وأنكفأ الحلم في فجيعة لم أفق منها إلا معك يا (سعيد).. جئت إليكم.. قلت ابتعد عن هذا النهر الذي رغم عشقي له ابتلع أيضا أعز من عرفت.. أبي وأمي ومحمود البكر.. ورأيت أخيرا البلد الذي لم أعرف سوى في قصص الأب المفطور حزنا لبعده عنها، وهو يقول:

ـ اللاجئ لاجئ.

صدقني يا سعيد لم أشعر بالغربة واللجوء طيلة عمري.. شعرت بهم أهلي وحماي، ويكفي أنني أحببت منهم محمود بقامته التي تشبه قامتك متناسقة الأطراف وبعينيه الدعجاوين وهما تشبهان عينيك وتقطيبته الآسرة كما أنت يا سعيد.

أنظر إليك.. كل الجنوب ألم، أنظر إليك.. أحقاً كل الحب حب؟!

والمرايا جسد سديمي ضائع، نصادق أوجاعنا ونرحل، نرحل ثم نرحل.. نحن القوافل التي تطارد المراعي والكلأ.. نرواغ أفراحنا بأيدينا.. نعرف جيداً أننا لسنا هنا أو هناك..

فضاءات لم تخلق بعد.. يا خالق الوجود الداجي إلى أين؟!، فأنت الأعلم على الرغم من تنظيرات سعيد وقراءاته المتحمسة.. وأسوار المدينة صدأ يأكلنا، أنا منك وأنت محمود البكر الجاثم في مخيلة حسيرة التواريخ.

محمود البكرمات ليغدو لوحة يعلقها جدار الأزل.. أنا منك وأنت منه والضياع نحن.

همٌّ على هم والحب جنون ووهم.. هو المكان لعنة المستحيل في الانتماء.. نسبح في نقطة الوجود المقبرة.. تحاصرنا الأغاني ورائحة الموج المتلاطم.

نقف.. حيث القدرة على الحلم.. ندندن بأوراق الزمن الماضي والناي يخترق عوالم السكون ومدائن البوح الصديقة تمد أسوارها حولنا.. تمدنا بشوارع من ورد وود وسكنى المواويل العذبة التكوين وسيف الهوى المصلت على رقابنا.

ـ أحبك

أقولها ملء السديم الرائع، الدجي والشفق الملتصق بنوراس المجهول والقادم.. ماذا يهم إذا كانت الدروب لك؟!

والمواعيد لك.. وهذا القلب الذي أملك تدفئه عيناك الشاخصتان إلى الأفق المديد!

أبحث عن لحن يدغدغني.. لحنُ أغنية لك.. فتعال نشرب القهوة مرة أخرى.. القهوة التي تشبه مواسم شعرك الواعدة.. تختبئ خلف الرائحة فأراك في الطعم وهو يسيل من القلب إلى الذاكرة.. اختزنك لزمن احتاجك فيهِ أكثر.. تراكم.. تراكم هناك في البعد الهلامي.. ازدحم في متأملة صورتك البهية التي طلبتها منك حتى أراك أمامي دائما كما أنت نغمةً حائرة أدسها في صدري النابض بآيات الغرام.. والمدينة تكسونا بالمجون والريبة وحرائر الليل الجاثمة عند المنحدر.. وهذه الهضبة الشاهقة السؤال والخطى..

فهل الحب يُنسى بحب آخر..؟!.

التخيل يترنح عبر نسمات الشجن العالق في الفؤاد.. وأنا أرقد إلى جوارك في تيه صامت موتور اللون والسنابل فضية الشعيرات.. أتربص بك تغزوني رغبة مجنونة في اختراقك.. في الإتكاءة عبر عالمك الصلب (أو الذي يبدو صلبا) وتغور نفسي هامسة بكل مفردات العشق واللامعقول.. هو الجنون بعينه أراك قادماً من أحلام الماضي ومني.. تزدان بيارقا ونرجسا معطراً وياسمين.. أشتهيك.. أتربص بك وتفر من بين أصابعي كالماء.. يفر النهر منزوياً في وحشة ساكنة الإطار..

كم أنتَ في وكم أحبك يا رجلي الأوحد، ولن أعتب على نور أو محرت أو الأخريات فأنت شخص لا يمكن المرور عليه هكذا.. وها أنا وأنت عبر هذه المدينة ذات الطراز الرفيع من المباني والعزلة الماثلة أغني لها فيرتد غنائي ملوما مدحورا شائها.

كم أحبك لأنك من يساعدني على إزالة مكامن الألم في أعماقي لتفرش مكانها دفئاً حنون الرؤى.. وفي اللحظة / الحلم تتحفز وسائل أنوثتي للقضاء عليم وللهروب.. اللعبة بيننا..

ـ هل فكرت فعلا أن أهرب منك؟!.. لا لم يحصل سوى الخوف أن تضيع مني مثلما ضاع محمود البكر الذي لم استطع النسيان إلا فيك.. عرائش البيوت وتراب الأمسيات المتدلية من فجوات الماضي.. عذابات الحب الأولى والأم الحنون.

كنت على استعداد أن أبلي عمري فيه.. أعذرني يا سعيد على هذه الصفاقة، ألم تقل لي أن الماضي نبراس الحاضر؟.

وأنا رأيت حاضري فيك أنت.. أنت وحدك.. هو مضى وبقيت أنت..

فيه منك.. وفيك منه، ثنائية تتمثل في قسماتك الأنضر من خضرة المواسم والخريف..

أعرف أنك تخبئني بين أضلعك.. تحت الروح وفي العينين الساحرتين والصافيتين صفاء النهر العظيم الذي ربيت..

تقول لو تهرب مني.. أعلم أنك تكذب ويدك المفخخة بالغرام والشهوة والأخرى تسكن عند أهداب السحابات البيض كإحدى ضفتي النهر الجاري.. أيها المحارب العنيد.. تؤكد لي أنني امرأتك وأنك تحمل أجزائي المبعثرة فأين المفر..؟!

والدوالي تستدير عند المنحدر.

وأين المفر والغمام يغطي طريق المسير..؟! وأين المفر؟! والطائر يمعن في شؤمه السادر في المتاهة والعربدات التي يحيا البشر.. وأين المفر؟!

والمفر أبعد من سهول ووديان وجبال تقطعها للوصول إلى اللامعنى؟!.. لا ندري تضيع البوصلة ويضيع الرعاة حين

تفـر المراعي نحـو وجهة غير معلومـة، وتشرد حاملـة أوزار الطريق والقتل المنافي..
وأيـن المفـر؟! حـين لا مفـر إلا التشبث بالله والحق والخير والحبيب الموعود؟.
هـل كنـت تمارس الحـزن سراً يـوم انكسـار الرغبـة عند حدِ السؤال؟!
كنت أعلم أنك لن تستطيع تجاهلي وأنا مجذوبة إليك بغلالات الوجد والتماهي في رحاب حضرتك الآسرة.
كنت أعلم أن المسافة بيننا أقصر من أهداب جفنيك الظليلين إلى الحدقات..
وكنت أعلـم أننا نواصل شريط الحب وشـوق عمر لا يروح ولا يأتي.. لتنحرف مفردات لغتي إلى مسـار لا تنتمي إليه..
في ماركسـية اعتنقتهـا أنـت ورفضهـا قلبـي المؤمـن بالواحد القديـر.. وتجاهلتها فيك حتى لا تطير عصافيري بعيدا عن عشك الدافئ القرير.. وعن أفق لا أفق له.
إذن فلنعلن أن شـواطئنا رملية وشمسـنا تقشعر لها الأبدان..
أتربص بك والتقط صوتك المتسلل مني إلى أذني..
ألمح خطاك المبتعدة داخل سراديب وقنوات قلبي السحيقة..
أتربص بك واستنشق بقوة رجولتك المتأصلة في أطرافي..
أمتلئ بك وأغادرك جسـدا ليس أنـت.. وحين يطل الصباح أنثرك في عوالمـي وأمارس يوما لا يخلو منك ولكن بدونك..
أنت فقط الآن ولا سواك..
فتح سعيد جفنيه وصوت وفاء يمضي إلى فسحة تجثو على حافة النهر.. تمنى لو أنها موجودة فلربما استعادت معه أشواقها..
كان الفجر يتسلل إلى دوائر النافذة وأصوات السيارات العابرة في هـذه المدينة التـي بدت له كبيرة تبعث عـلى ضجيج انقطع

عنه منذ سنوات طويلة بعد عودته إلى مدينته الربيعية الهادئة وهي أشبه بقرية كبيرة كما كان يطلق عليها صديقه معتز الذي راح يريه لوحة جسد فيها إحساسه بالمدينة.. حين رسمها بالخطوط البيضاء وحواف المئذنة والكاتدرائية الضخمة التي تستلقي عند منتصف الشارع الرئيسي، تتداخل في كولاج تراءى كمجموعة من الكتل الحادة وبألوان مسترخية كما أحب أن يطلق عليها سعيد الذي سأل معتز قائلا:

- من أين أتيت بهذا النهر وهو يبتلع كل شيء.. لا يوجد ذلك في مدينتنا الصغيرة!!

- جاء بلا استئذان.. ودعك من المحاكمات الواقعية.

أيقظ سعيد ميكائيل منبهها إياه أنه أول أيام المؤتمر. دق جرس الهاتف وكان السائق في الانتظار أمام بوابة الفندق الفاره وسط المدينة المترامية الأبعاد.. سحب ورقة وكتب:

مدينة الخفر
والنهرُ يستدير عند حافة القمر
مدينة تفيق خلف عالق الشرر
تمتطي سحائب الجنون والمطر
والبنت ترتمي عند المقيل
هذي أماسينا هنا
والشارع الطويل
لا بد يا حبيبتي ننام
على ذراعك الأرق
من جدائل الغمام والقوس والوتر
مدينتي يا أجمل الدرر.

ابو بكر حامد كهال

مواليد عام 1961، يقيم بالجماهيرية الليبية.
صدر له:
رائحة السلاح، رواية.
بركنتيا أرض المرأة الحكيمة.
تايتنكات افريقية، رواية.

ومن رواية «تيتانيكات افريقية»- التي تجسد مأساة «الحراقة» الأفارقة الذين تقودهم أقدارهم إلى ركوب «قوارب الموت» في سبيل الوصول إلى الضفة الشمالية من البحر المتوسط، نقدم الإحالات التالية:

جرع من الكأس جرعة أحسها حارقة، وتمنى في تلك اللحظة أن يأتي له أحد بشيء يأكله.

الذين يعرفون كاجمكور لن يستغربوا إحساسه بالجوع في هذا الوقت، لأنه منذ سنوات درج على تناول وجبة واحدة في اليوم الواحد ليحظى أطفاله الكثر بالطعام. وقد حل الآن الموعد الذي اعتادت معدته أن تستقبل فيه الطعام، لكنه واصل الشرب على الخواء.

حين ينتشي كاجي - وهذا اختصار لاسمه -، ينفلت لسانه بغناء عذب. وكان بورا يحب في خاله هذه السمة كثيرا. كانت الأغنية الشجية المسماة (الفرحة)، والتي تحاكي فرحة الإنسان

الأول ودهشته في الأرض حين رأي لأول مرة امرأة، من ضمن ما أداه كاجي في تلك الأمسية السعيدة.

تؤدَي الأغنية ببريق عيون ضاحكة، وشفاه باسمة، وبصوت يصدر كلماته كمن يروي قصة، ولكن بلحن به كل رنين الروح المأخوذة والمندهشة، مع إيقاعات وخبطات على الأرض تمثل فواصل بين مفاصل الحكاية المغناة.

وكانكاجي قد فكر، وعزم العزم كله على عدم ترك الغرَبوارا يهاجر، وعلى استئصال جرثومة الهجرة من عقله بمثل هذه الأغاني التي يبرع في أدائها. كان هذا دأبه إلى أن شفي بوارا أخيراً من الجرثومة، وواصل حياته كفلاح ووارث للأغنيات.

كما قلنا جاءت الأغنية على لسان أول رجل وجد في الحياة. وحسبما تسرد الإسطورة الإفريقية.. فإن أول إنسان على الأرض كان رجلا، وبعد انقضاء سنوات على وجوده وحيدا تولدت لديه أحاسيس مفادها أن هناك فراغاً ما في حياته البائسة هذه، وأن هناك ما ينقصها فعلاً. لكنه كان عاجزاً عن تحديد ماهية هذا الشيء. ماذا عساه قد يكون؟.

وخلال فترات تأمله الكثيرة بغية الوصول إلى ما يرى أن حياته لن تعرف الاستقرار إلا بوجوده، أطلق في يوم من الأيام العنان لخياله، وراح ينحت بواسطة الأحجار المسننة جذع شجرة على صورة ما تخيل أنه هو ما ينقصه، وأنه يمثل ضرورة لوجوده، وبعد أن فرغ من عمله الفني ـ أول إنتاج للإنسان ـ حمل منحوتته التي جاءت على صورة امرأة كما تخيلها إلى مضجعه جعلها تنام قربه. وحين استيقظ في الصباح، وجدها تستيقظ إلى جانبه مع ابتسامة على وجهها ولا أعذب.

مـن هنا تولدت أغنيـة الفرحة.. من الشـهقة.. من اللخمة.. من الدهشة.. من الحياة نفسها.. من الكمال الذي حققه خيال جدنا الفنان، جد البـشر جميعاً، من رؤية مخلوق حلو ووديع، على غير توقع.
يصنف المشـتغلون بالتراث تلك الأغنية التي كانت أقرب إلى الصلاة عـلى أنها أقدم تراث إفريقيـا اللحني والسردي. فهي سرديـة إذن، وهناك مـن يقول إنها إنبائيـة، وهناك من يتعمق أكثـر بوصفهـا بـ (الشـهقة الفريـدة) لأنه لم ولـن يكون عند البشرية شهقة شبيهة بها، في أي مرحلة من مراحل وجودها.
هذه هي الحكاية، التي سمح لي فيها مالوك بأن استمرئ طعم الروعة، وجال بي خلالها على عوالم من الخيال المترع بالدهشة، وقدم لي درسا هو أن الأغنيات أيضا تبطل السحر.
للإفـلات من القلـق ولدفن مخـاوف الروح في انتظار سـاعة الانطـلاق، درجـت عـلى قضـاء كامـل نهـاري متجـولا في الخرطـوم، أراقـب شروق الشـمس مـن على جزيـرة (توتي) بعد أن أكون قد مشـيت أربعة كيلومـترات وعبرت من قبالة قاعـة الصداقة إلى جزيـرة (توتي) على متن قارب محمل بالخبز والخضر.
كنـت أتنـاول طعـام الغـذاء في مطاعـم شـعبية وسـط زحام كرنفالي. في سـاعات الهجير، ألوذ بأشـجار حديقـة النيل مع أعـداد لا تحصى من البشر: موظفـون حكوميون، تجار، عمال يوميـون، عسـاكر بزيهم الرسـمي، طـلاب جامعـات يأتون متأبطين صحفهم ويفردونهم هناك تحت ظلال.
وهذا المكان يعد الوحيد في العالم تقريباً الذي يمكن فيه قراءة ما يربو على ثلاثين صحيفة تصدر يومياً في الخرطوم وصحف

أخرى مـن أنحاء العالم دفعة واحدة، عبر تبادلها وتمريرها من فرد إلى آخر.
يقول لي الأصدقاء متعجبين من حمى جولاتي هذه:
ـ وفر طاقتك للرحلة يا رجل.
ـ لا أستطيع المكوث والتفرج على نفسي كما تفعلون.
يدافع أحدهم بمرارة:
هل ترانا نتفرج على أنفسنا؟.. وهل هناك أصلاً من بمقدوره التفرج على نفسه سوى السحرة؟.
أمـر آخر قمت بـه في الخرطوم قادني إليه الجانب السـلبي من طباعـي أو لنقـل بالأحرى ضعفـي المكـين، وبالأصح إيماني الخفيف بضربات الودع وضاربي الرمل (الضيربي) وقارئات الفنجان والعرافات وأصناف المشعوذين والسـحرة (ذكورا وإناثـا) لمعرفـة طالعـي، والحـق يقـال أن لبعض مـن هؤلاء قدرات شبه خارقة.
أقـول هذا عـن معايشـة حقيقة مـررت بها حين كنـت مدمناً التعريج على (الأوكار)، حسبما يسمي أحد أصحابي الأماكن التي يزاول فيها أولئك الناس مهنتهم الغريبة.
والحقيقة أنها عادة قديمة اكتسبتها في مدينتي، بدأت بمجالسة أصحـاب المقـدرات الخارقة، هؤلاء من أجل التسـلية وملئ الفـراغ، إلى أن اسـتفحلت وصارت عـادة لا أحب مصارحة الآخريـن بهـا، فما كان للتسـلية وتقطيـع الوقـت أصبح أمرا صعب علي الفكاك منه.
إن عدد المرات التي جلسـت فيها مثـلاً قبالة ضاربات الودع لا تحصى.
أجدني لا شـعورياً أعـرج للرصيف، أو إلى الشـوارع الخلفية حيث تتخـذ الواحدة منهنَ شـجرة ما، مكان لعملها. تسـند

ظهرها إلى الجذع، وتكوم (عدَة الشغل)، وهي الوداعات فوق الخيشة المفروشة أمامها، في انتظار المأزومين وفاقدي الأمل لتكشف لهم عن البخت أو الطالع.

استعرض وجوههنَ.. أتفرس جيداً في أعينهن، كمن يريد الغوص فيها لكنه مقدرة كل واحدة منهن.

جلست إلى «وداعات» جئن إلى الخرطوم من رواكيب (قندر) في أثيوبيا، وهوساويات ضامرات وغامضات جداً من نيجيريا وعجائز دعيات لا يُعرف لهن بلد. جلستُ بحيرة أمام وداعات، بعد أن يرمين الوداعات السبع على الخيشة، يرحن يتأملن الأوضاع التي اتخذتها الحبات مدداً أطول من المعتاد قبل إلقاء تأويلاتهن ورؤاهن على مسامعي.

هل هو لإيهامي بأنهن متضلعات في الأمر؟.. أو أن كل تلك الإطالة هي لتعذيب روحي عبر التدليل بالإيحاءات عن سوء طالعي؟.. كيف أفسر ظهور التجاعيد والتغضنات التي تظهر فجأة فوق جباههن بلا مقدمات وهن ينظرن نظرات أسف إلى الودع المتناثر؟، وماذا عن زوايا أفواههن التي تتبادل السقوط والصعود بتوتر وبشيء من العصبية؟.

لقد وجدت من كل هذا أن طالعي كان يتبدل من يوم إلى آخر، وتتناقض نتائجه عند «الوداعة» نفسها بين صبح وعشية مثل طقس أرض مسحورة لا يعرف استقرارا.

(..................)

توفي اثنان من الركاب بفعل مرض مفاجئ. ظلت جثتهما فوق سطح المركب، حتى مساء اليوم السابع. ومنع اليأس من عمر المحرك وعدم ظهور أي نجدة، رموهما في الماء. في الصباح، ظهرتا طافيتين بجوار المركب.

السحب السوداء التي تجمعت جلبت معها العواصف والأمواج التي حاصرت المركب. ظلت تضربه بلا هوادة على مدار الساعة، وكان المطر يحلب نفسه بلا تعب. كما أن الثغرة استيقظت وصارت تدفع المياه بعنف نحو الداخل، رغم محاولات مالوك لوقفها.
في اليوم الثامن عشر، وقبل غرق المركب بأربعة أيام، بدأ العطش والجوع يحصد الضحايا، سقط منذ نهار الأمس وحتى هذا الصباح المكفهر عشرون شخصاً ظلوا يصارعون للبقاء. لكن مع شروق الشمس لفظوا أنفاسهم تباعاً.
قال علي خيرت المنهك:
- قد ننجو يا شباب. أخرجوا إلى السطح وراقبوا إن كانت هناك باخرة تمر بالقرب منا. أنا أعرف صوت محرك السفن الكبيرة، الذي أسمعه الآن.
انتشروا على السطح يراقبون ككامل الأفق. بعد نحو الساعة رأوها، كانت ناقلة نفط كبيرة، صاروا يلوحون لها بكل شيء. عندما أصبحت بمحاذاتهم رأوا البحارة القليلين الذين كانوا على سطحها ينظرون نحوهم جامدين.
قال مالوك:
- أرموا جثةً من الجثث لعلهم....
بسرعة، رفعوا جثة امرأة ورموا بها إلى الماء الهائج.
لكن البحارة لم يستجيبوا. رموا أمامهم المزيد من الجثث. واصلت الناقلة شق طريقها وفوقها البحارة عاقدين أذرعهم إلى صدورهم مع ابتسامات وقهقهات إلى أن اختفوا.
أخيرا، جاءت الجبال وسط الظلام الدامس، هزت المركب هزات عنيفةً شعر بها حتى الذين كانوا في غيبوبة. تخلع الخشب مطلقاً سيمفونيات خشنة، عبر شدق الشق.

دفعت المياه الأنفار القليلين الذين كانوا في الداخل إلى الخروج إلى السطح. وهمس مالوك بكلماته الأخيرة، وهو يرتقي السلالم:

خلاص، وثبَت الكرة.

راح بعدها جسم المركب بغوص، وصار الناس يقفزون إلى المياه الباردة.

كَرَ في ذاكرته شريط الذكريات الطويل، مستعيداً اللحظات الخطرة، واللحظات السعيدة، إلى أن وصل إلى ليلة الإبحار وابتعاد أضواء تونس العاصمة وشروق شمس المتوسط، والدلافين المرحة التي كانتٍ تواكبهم، والظلال التي نشرتها فوقها غيمة النوارس، مروراً بهذه اللحظة، طافيا فوق خشبة من حطام المركب، وحوله أجساد كثيرة فارقتها الحياة، تلعب فيها أسماك شرسة كانت تقضم أثداء النساء، ليفيق من وقت لآخر من الإغماء كلما شعر أن الخشبة تتملص من تحت جسده.

كماٍ أنه تذكر (رامبو)، وتذكر أنه في يوم بعيد كان قد كتب شيئاً عنه. وراح يقرأ في سره ما بقي منه من ذاكرته.

همس بالأنفاس الباقية من الشعر فوق ذلك القارب الضائع في لجة الموج:

ـ إذا حضرت أيها الموت الآن، فهذه هي اللاعدالة.

جاءه صوتٌ من أعماق البحر:

ـ ولكن يجب أن يتم الأمر الآن وفوراً.

ـ أنت الكائن الوحيد، من بين الكائنات الذي لا يمنح دقيقة واحدة لوداع لائق.

ـ هكذا أعرف عملي، ولا أعرفه إلا بهذه الكيفية.

ـ ألا تـرى أن في هذا قسـوة ؟!.. أمنحني بضعة أيام، أريد أن أكمل عملي الأخير.
ـ ما نوعه؟
ـ أريد أن أعود إلى موطني.
ـ موطنك؟!
ـ لقد راهنت..
ـ راهنت؟!
ـ العودة بقصيدة أخذتني إلى كل هذه الأسفار.
ـ كنت مخطأً.
ـ لا أريد أن أخسر.
تلا أيضا مقاطع شعرية
أخمن الآن أنها وليدة تلك اللحظة الرهيبة:

1
مراكبهم بلا أسماء
مثل قبور مجهولة
تواكبهم دلافين مرحة
وتظللهم غيمات نوارس.

2
هرولاتهم في الأزقة
توقظ المرافئ الغافية
فتصدهم
جدران المدن كالكرات.

3
حين تأتي أرتال الموج
صفاً صفاً
تنهار
دروع الروح
وتهجس:
(إلى أين
تأخذينني
أيتها الساعات القادمة ؟)

4
تفيض أرواحهم
فوق أملاح البحر
وعظام موتاهم
القابعة
في الصحاري
تتعرى
حين تخطف العواصف
من فوقها أكفان الرمال.

5
يا بحر
باسم ما لك
من وجوه في الذاكرة
باسم من انطبع
صراخهم
في الهواء كتذكار.

أَلجم هذه الريح القرصان
أقطع توالد أمواج
الخفاء.

6
يقذف البحر
وجوههم
كقناديل
تدلت من سماوات
فتسلبهم الحضارة
فوق أسلاك الحدود
أو ترفع أشلائهم عالياً
كالأسلاب.

عبد الوهاب حامد

صدر له:
وطن وأحزان، رواية، عن منشورات المؤتمر،
الجماهيرية العربية الليبية . 2007

إنه ليس كسائرٍ الأطفال فقد فض غشاء البراءة وتجاوز عتبة الطفولة مبكراً، إنه طفل استثنائي كبُر على سنه فحاز بمنكبيه أكتاف الرجال واستطال بحسه المرهف وذكاءه المتقد حدو الشمس فأرخى أذنيه المثقلتين بالانتماء حتى العظم إلى الأرض والوطن فتاهت إلى سمعه حشودا من الكلمات التي تستفز نخوة الرجل.. الوطن، الأرض، المال، العرض، الـ...

ولكن حامد لا يفهم الأمور كما يجب فهو لم يتجاوز الخامسة عشر بعد، فكيف يقوى على تحمل المشاق التي تنتظره هناك؟

هكذا تحدث نافع مع الشيخ علي، ثم أردف:

ـ إنكم بتصرفاتكم الهوجاء وثرثرتكم عن الثورة أمام الأطفال ستفسدوا علينا الأمر وتعرضونهم للهلاك و..

بهدوئه المتزن رد الشيخ علي قائلا:

ـ الآن وقد وقع الفأس في الرأس، لن يفيد الكلام فقط يجب أن نسرع بإرسال مندوبنا إلى (الأولاد) 1 في (بركة) لإقناعهم بعدم قبول حامد ورده إلينا.

ثم واصل مسهباً في الحديث كعادته:
- في الحقيقة إننا في (أروته) نحتاج كثيرا إلى حامد وأمثاله، فهو من أنجَب أبناء القرية وأبرَهم، ويمتاز بذكاء وألمعية لا يتوفران حتى في الكبار، إنه خسارة، خسارة فعلا «لأروته» وأهلها، و...
- يجب أن تسمي الأشياء بأسمائها فليست أروته إلا جزء من هذا الوطن المغتصب، أما التحاق حامد بالثورة فهو بلا شك تشريفا ومكسبا لنا، وليس خسارة كما تعتقد!!.
صعق الرجلان عندما سمع ذلك النداء الوطني قد صبت حروفه امرأة كانت بداخل الخيمة..
- هُس..
قال الشيخ علي زاجراً زوجته:
- إننا لا نأمن هذه الرياح التي تعوي كالذئاب الجائعة، من أن تنقل أحاديثنا إلى (الطير)، فيكون مصيرنا كعد ابرهيم، وعونا.
- ها أنت إذا قلتها فهل عد ابرهيم وعونا إلا أهلنا؟، وهل نسيت عافه ود محموداي الذي أحرقوه حياً؟ وهل دخلت في نوبة هستيرية من البكاء والنحيب.
بدا زوجها مطرقاً ينظر إلى الأرض وكأنه يبحث عن عافة بين أكوام الرماد والحصى التي أمامه، ثم همهم بطلاسم من الكلمات المبهمة، فهم نافع مغزاها فأثارت في نفسه كوامن الشجن والذكريات الغابرة
كان عافة شعلة متقدة أنارت شعاب (اروته) وروابيها الجميلة، وكان إلى جانب الشهامة والمروءة اللتان جبل عليهما، كلفا بالمغامرات الصبيانية، واللهو البريء، مترعا بالمرح والأريحية فأضاف إلى سحر (اروته) وروعتها حيوية وسكب في بيادرها زيت البقاء وأكسير الحياة..

ـ استغفر الله، لقد نكأت جراحنا أيتها المرأة، قال نافع وهو يقاوم دمعة ترقرقت في عينيه، ولعله كان يقول في نفسه:

ـ لولا الحياء لسمحت لهذه الدمعة أن تسقط فما قيمة الحياة بعد عافة.

أضاف نافع:

ـ تباً للمرأة التي خطفت عافه ورحلت به إلى أرض الشؤم، ألم يجد في (أروته) كلها من تتزوجه؟.

ـ استغفر ربك يا نافع ولا تسب الميت فقد أحرقته زوجته أيضا، قال الشيخ علي، ثم أضاف:

ـ كل بنات القرية كن طوع بنانه لو أراد ذلك ولكن الله هو الذي يختار وليس البشر، أليس كذلك؟.

ـ بلى، قال نافع وبدا كأنه قد نسي الأمر الذي جاء لأجله نافخا شدقيه احتجاجا على هروب حامد والتحاقه بالثورة:

ـ ألم تلاحظ ذلك يا شيخ علي؟..

ـ لقد سبقتني في هذا يا نافع، إنهما حقاً يبدوان كالتوأم في حركاتهما وفي سكناتهما و... ولكن أين هما الآن فقد افتقدناهما حقا، يا لتعاستنا، يحرق عافه حيا ويرحل عنا حامد في جنح الظلام!.

ـ لكنني متفائل، قاطعة نافع، إنني متفائل أن حامد سيرفع رأسنا عالياً، وسينتقم لنا وسيكون له شأن في هذه الثورة المنتصرة بإذن الله..

ـ هس، لماذا ترفع صوتك هكذا؟.. هل نسيت أن (للطير) أذناً صاغية وعيوناً تجوس بين الخيام وفي الأزقة والشوارع؟.

ـ حقاً.. قال نافع.

ثم انصرف وقد هدأت براكين الغضب التي فجرها في نفسه اختفاء ابن عمه عن القرية والتحاقه بالثورة، وهكذا أهمل دور المندوب الذي كان يجب أن يلحق به ليعيده إلى أمه التي لم يهدأ لها بال منذ أن غاب عنها ابنها الوحيد.

الفهرس

إضاءة أولى........................ 7

الشعر

محمد محمود الشيخ (مدني)........................ 15
محمد عثمان كجراي........................ 43
عبد الرحمن إسماعيل سكاب........................ 51
أحمد عمر شيخ........................ 55
عبد الحكيم محمود الشيخ........................ 83
أحمد محمد سعد........................ 89

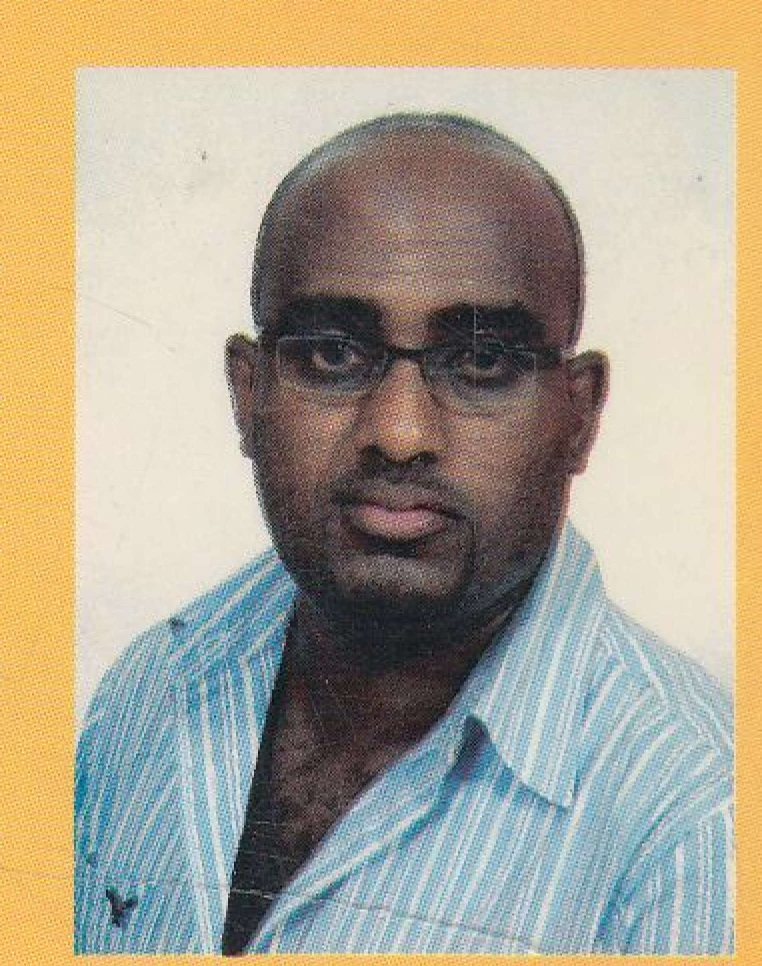
القصة

عبد القادر حكيم........................ 95
عبد الجليل سليمان عبي........................ 107
الغالي صالح........................ 115
عبد الرحيم شنقب........................ 119
خالد محمد طه........................ 133
جمال عثمان همد........................ 143

الرواية

أحمد عمر شيخ........................ 157
ابو بكر حامد كهال........................ 163
عبد الوهاب حامد........................ 173

جمعية البيت للثقافة والفنون
«منشورات البيت»
ص.ب 426 حسين داي-16005 الجزائر 16000
هاتف: 76 30 86 665 (0) 213 +
فاكس: 89 00 65 21 (0) 213 +
www.elbeyt.org
elbayti_alg@yahoo.fr
طبع في مطابع حسناوي جوان 2009



من مواليد عام 1977. بأسمرا.
حاصل على ليسانس في العلوم السياسية. جامعة الجزائر.
ماجستير في العلاقات الدولية. جامعة الجزائر.
أشتغل بالعديد من الصحف العربية.
مراسل صحيفة «الجزيرة» السعودية.

والواقع أن الأدب الإريتري في الأساس يتعدد في لغات كتابته بداء باللغات واللهجات المحلية (التجرنية / التجري / البلين / الساهو / العفر..) وهي التي تكتب بالحرفيين الجعئزي واللاتيني، بالإضافة إلى اللغة العربية التي تعد إحدى اللغات الرسمية والوطنية باريتريا.. فضلا عن بعض الإصدارات المكتوبة باللغات الأجنبية كالانجليزية والايطالية.
لذلك من الضروري التأكيد على أن هذا الإصدار الأول لا يتعلق سوى بالنصوص المكتوبة باللغة العربية دون سواها، وهو الأمر ال
طرح الفرضية المتعلقة، بـ «الخصوصية»، التي يمكن أن تش
النصوص في المشهد الأدبي العربي، في ظل سيطرة «المركز» عا
في الثقافة العربية المعاصرة، -إن صح التوصيف-، وفق الرؤية ال
الدكتور «كزافيا لوفان» الباحث المهتم بالحضور العربي والإ
شرق ووسط إفريقيا وتحديدا على الصعيد اللغوي (وهو أحد أه
الأدب العربي للغات الأجنبية، وبوجه خاص الأدب السوداني).
حيث يرى أن هناك «في هامش الثقافة العربية ثمة أدب، وكت
يكتبون باللغة العربية، ويتجلى ذلك في الصومال وإريتريا م
بنموذج الكاتب الإريتري أحمد عمر الشيخ الذي أصدر مؤخرا رواية عنوانها (الريح الحمراء) تتحدث عن المناخ الثقافي واللغوي في إريتريا».
من المقدمة

